



www.awu.sy

الأدب السوري

الثقافة
ثراء
وسيرة
لا تنتهي

الأسبوع الأدبي - "السنة الثلاثون" العدد: "1564" الأحد 12/11/2017م 23 صفر 1439هـ

25 ل.س

16 صفحة

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية



ملف خاص عن الحركة التصحيحية المجيدة

ص 3 - ص 7

كيف نفهم اليهود

• نصر الدين البهرة - ص 2

قراءة في ديوان الشاعر سليمان سلمان جراح المسرات

• محمد رجب - ص 12

توظيف التراث في القصيدة الحديثة ومقاربة الطفولة تجربة ممدوح عدوان أنموذجاً

• خليل البيطار - ص 14



لوحة الفنان محمود حماد

• أ.د. نضال الصالح

الافتتاحية



سرّه الأعلى

الضمير في "سر" يعود على الفن، تشكيلاً ونحتاً وموسيقاً، الذي يوحد بين النصوص التي اختارتها السيدة الدكتور نجاح العطار محتوى لكتابها الصادر مؤخراً: "الفن إبداع، في سرّه الأعلى يكتب الوجود"، والتي ما إن يبدأ القارئ السطر الأول من كل منها، حتى يجد حواسه كلها مسحورة بإحدى ثلاث: لوحة، أو منحوتة، أو معزوفة، تبدها روح نسيج وحدها في صياغة الخط والظلال والألوان، أو في خلق علاقة جمالية أسرة بين فضاءين، الكتلة والفراغ، أو في مثيلها بين العلامات السبع للسلم الموسيقي.

في الكتاب الذي يمتد على مئتين وست وستين صفحة ثمة الإهداء، والتقديم، وواحد وستون نصاً تتوزع على ثلاثة حقول جمالية: التشكيل، والنحت، والموسيقى. الإهداء إلى السيدة أسماء الأسد، والتقديم كلمة بعنوان "رؤى تقول دون أن تقول" في مؤتمر للفنانين التشكيليين حول أهمية الفن ووظيفته ورسالته، ثم النصوص التي تتوزع على غير مناسبة، كلمة في مؤتمر، وأخرى لمعرض تشكيلي، وثالثة لمعرض تصوير ضوئي، ورابعة مقدمة لمجلة، و.... وفيها جميعاً ثلاث سمات تميزها من سواها مما يقرأ المرء في مجالها في هذا الحقل الجمالي أو ذاك: تزويدها القارئ، على نحو غير مباشر، بحصيلة معرفية باهرة، ليس فيما يعني التشكيل أو النحت أو الموسيقى فحسب، بل، أيضاً، فيما يعني الفن عامة، ومنه الأدب، ثم تحليلها به، أي القارئ، إلى فردوس خائب بينما هو يترنم بإيقاع الصياغة الساحرة للمفردات والعبارات، وبالْحَقِيقَةُ التي تحيل هذه الأخيرة عليها وبمجازها بان، وبما تتضمن من غير حمولة من صيغ البيان والبديع، حتى ليحسب القارئ نفسه يطير بجناحين من نور في عالم من نور.

الفن إبداع، وفي سرّه الأعلى يكتب الوجود، وهذا الأخير هو مفتاح النصوص جميعاً، إيماناً من الكاتبة بأنه ما من قيمة لأي شكل من أشكال الفن إذا لم يكن الواقع مرجعاً وغاية بان، فهو، بالإضافة إلى كونه، بتعبيرها: أداة تذوق جمالي، ومتعة ومعرفة، ووسيلة تثقيف، هو، بان، بتعبيرها أيضاً، سلاح من أسلحة النضال الوطني والقومي والاجتماعي. ولأنه كذلك، فلا بد له من أن يكون "طلية في التوعية والتحرية والتوجيه، وفي تأييد القضايا العادلة، والرد على أعدائها، وفضح أغراضهم".

من ذلك الوعي بقيمة الفن وبأهميته، وبوظيفته ورسالته، تنسج السيدة العطار "بروكار" نصوصها في الكتاب، وعبره تكتب شهادات على زمن مترف بالناصع من الإنجازات التي كان لها الفضل في ولادتها عندما كانت وزيرة للثقافة، من معارض الفن التشكيلي، فمعارض التصوير الضوئي، إلى مجلة الحياة التشكيلية، فالمسرحية، فالسينمائية، إلى الندوات الدولية حول الآثار، إلى دار الأسد للثقافة والفنون، فالمعهد العالي للفنون المسرحية، ومثيله للموسيقى، إلى الفرقة السيمفونية الوطنية، إلى غير ذلك كثير مما وضع سورية في صدارة الدول العربية المبدعة للثقافة، ومما لم يزل، وسيبقى، التعبير الأمثل عن النموذج الأمثل للمرأة السورية المثقفة التي تفخر بها الثقافة العربية عامة، لا السورية وحدها، والتي تمكنت بفضل قيمتين، الأخلاق والمعرفة، من تقديم أبعي صورة للمسؤول الثقافي، بل لصانع الثقافة ومبدعها والمؤمن بها قضية، وأي قضية، لأنها تستهدف بناء الإنسان ليعيش، حسب المؤلف، في ذاته ومجتمعه حراً وسعيداً.

ممتان وتزيد على الستين صفحة لا يمكن لمن يبدأ بقراءة أولها إلا أن يمضي إلى آخرها في جلسة واحدة، أجل واحدة، لأنه لا يستطيع الفكاه من أسرها الساحر على غير مستوى: حراك الثقافة السورية في أبعي صورها في عقدي الثمانينيات والتسعينيات خاصة، وبلاغة العبارة المترفة بإيقاع داخلي شفيف، ورهافة النسيج بيد صنّاع ماهر، وقيل ذلك وبعده ودائماً ما يعني نص السيدة العطار وحدها، وما ينتسب إليها وحدها، وما يجعل من مبدعته سرّاً أعلى وحده.

كيف نفهم اليهود ٢-١

• نصر الدين البصرة

يعترف الدكتور حسين مؤنس في الصفحات الأولى من كتابه «كيف نفهم اليهود» بأنه يعتمد على كتاب وضعه كاتب فرنسي هو روجيه بيريفيت Roger Peyrifitte بعنوان «اليهود» ظهر للمرة الأولى عام 1968، ثم صدرت منه عدة طبعات.

ومع أنه يقول إن المؤلف ليس عدواً لليهود.. بل هو أقرب إلى أن يكون صديقاً لهم. فليست هذه هي المشكلة ذلك أنها تكمن في كيفية فهمنا لليهود واليهودية. ومن ثم فإن الخطأ يكون بالغا حين ننظر إلى الموضوع نظرة سكونية ميتافيزيقية، تعزل اليهودية، واليهود معا، عن التيارات والصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المعاصرة من جهة، وعن المسار العام لمجمل الحركة الاستعمارية - والصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن من جهة ثانية. لا بد من الانتباه جيداً إلى الصلة الوثيقة بين الصهيونية، بوصفها شكلاً خاصاً حديثاً من أشكال الاستعمار الاستيطاني، ذا طابع عنصري ديني واضح، وبين الامبريالية الغربية، في مطالع القرن العشرين باعتبارها أعلى المراحل التي بلغت الرأسمالية الأوروبية في نموها وتطورها، والاستعمار الحديث الذي أخذ يسعى إلى السيطرة على العالم بعد الحرب العالمية الثانية بزعامة البرجوازية الأميركية.

ومن الضروري الإشارة هنا إلى العلاقة الجدلية بين الطرفين، ذات التأثير المتبادل. ومن الهام أيضاً التنويه مرة أخرى بوجود الفصل بين الصهيونية كحركة ذات مواصفات سياسية واقتصادية محددة، وبين اليهودية... كديانة، ربما اعتنقها أناس متمزتون متعصبون، يلتقون عند هذه النقطة بشكل أو آخر، مع المقتضيات الصهيونية، وربما آمن بها أناس بسطاء مخدوعون أو مضللون، أو خائفون مذعورون، تستغل الحركة الصهيونية نقاط ضعفهم هذه من أجل ابتزازهم في جملة من تبتزهم من القوى السياسية والاجتماعية الراهنة في عالمنا المعاصر.

ولأن الكاتب الفرنسي «روجيه بيريفيت» لم يستطع أن يستوعب هذه المعطيات، وبما أن الدكتور مؤنس قد اعتمد على آراء السيد «بيريفيت»، كان هذا الفهم الرديء لكثير من الشؤون والقضايا المتعلقة باليهود. وعلى سبيل المثال - ومع افتراض توفر النية الحسنة لدى الكاتبين - نستشهد بما ورد في الصفحة (18) حول كارل ماركس وفرويد. فإن الدكتور مؤنس يقول:

إن ماركس كان من أوائل من فكروا في إنشاء إسرائيل. وفرويد، ذلك اليهودي الذي تشعر وأنت تقرأ له أنه أعتى الكافرين، قال وهو على فراش موته، إنه مدين بكل شيء لعقيدته اليهودية، وكتابه عن «موسى» يكشف عن إيمانه العميق باليهودية.

إن أشد الكتاب عداً لماركس والماركسية، لم يذهب إلى حد القول إن ماركس كان من أوائل من فكروا في إنشاء إسرائيل. فإذا أضفنا إلى ذلك، أن ماركس وضع كتاباً كاملاً دعاه «المسألة اليهودية»، وأكد فيه على وجوب إنهاء الشقاق النفسي الذي يعيشه اليهودي، وحل قضية اليهودي تحليلاً علمياً، في ضوء الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يعيش فيها، ودعا اليهود إلى الاندماج في المجتمعات التي يحيون فيها، وأنه كان قد نشأ نشأة مسيحية بروتستانتية.. اتضح لنا الخطأ البالغ الذي وقع فيه المؤلف.

أما «سيغموند فرويد» فقد أثار كتابه «موسى والتوحيد» ضجة كبرى منذ ظهوره وتعرض فرويد بسببه لحملة من النقد والكرهية من جانب اليهود الذين اعتبروا الكتاب مسيئاً لهم إلى أبعد حد.

يقول الكاتب المصري محمد العزب موسى في كتابه «موسى مصرياً»: إن سر غضب اليهود على فرويد لا يرجع فحسب إلى حرمانه إياهم من بطلم القومي، وإنما يرجع أساساً إلى استطراده في تحليل النفسية اليهودية وإثبات ما اشتهرت به من قسوة وجحود وتنكر للجميل واقتناص لأفضال الغير.. الخ.

ويستطرد الكاتب: ويقدم فرويد بحثاً جريئاً عن تزييف



الدكتور حسين مؤنس

التوراة، وكيف كان أحبار اليهود يعيدون كتابتها مرة بعد أخرى على مجرى العصور لتتمشى مع أغراضهم إلى أن استقرت في شكلها النهائي الذي نعرفه اليوم..

وما أكثر الأمثلة عن كراهية اليهود المتدينين لفرويد. فأين هذا كله، وما ذكره الدكتور مؤنس حول إيمان فرويد العميق باليهودية؟

ومن الأمثلة الفاضحة عن سوء فهم الكاتبين معاً للمسألة اليهودية، ما ورد في الكتاب من «تشجيع المالبين اليهود للثورات وتمويلها، ومنها ثورة الاشتراكية الوطنية الألمانية بقيادة أدولف هتلر، وقد سمي في وقت ما سنة 1938 ريبب آل إسرائيل وصنعتهم». وفي سياق ذلك نعلم أن ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي الأسبق هو الذي نصح «أديانور» بأن يقدم المعونات المالية والحربية لإسرائيل.

وبطبيعة الحال فإن هذا الكلام يخدم جيداً في دعم وجهة النظر الأنفة التي قلت فيها بوجود التمييز بين الصهيونية واليهودية. فإن هتلر الذي كان يتلقى الدعم المالي من اليهود «الصهاينة» عام 1938 وما قبله، كان هو نفسه الذي انقض على اليهود الفقراء بعد ذلك إبان الحرب العالمية الثانية.

وبصرف النظر عن الخلط الفكري المذهل، الذي أدى إلى اعتبار الحركة النازية في ألمانيا «ثورة». فمن المفيد الإشارة، إلى أن الأثرياء اليهود «الذين كانوا يرفدون الحركة النازية بالمال، ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الألمانية نفسها، التي قامت الحركة النازية أصلاً بدعم وتشجيع منها، ولتحقيق أغراضها الاقتصادية ومطامعها التوسعية عند آخر تحليل».

أما اليهود الفقراء في ألمانيا، فقد كانوا ينتمون بدورهم إلى الطبقة الفقيرة «البروليتاريا الألمانية» نفسها التي اضطهدتها الحكم النازي..

فهل يمكن بعد هذا، أن يكون الأمر أكثر وضوحاً؟ ينطلق الدكتور مؤنس في هذا الكتاب من أن اليهود مازالوا إلى يومنا هذا طائفة سرية مغلقة على نفسها تماماً، لها أسرار وأحوال تجتهد في سترها عن الآخرين. وهناك حقيقة لا ينكرها أحد، هي أن شعباً من شعوب الغرب لا يحب اليهود حتى في فرنسا والولايات المتحدة. فهم «يحتملونهم لمصلحة، أو خوف أو حياءً أو رغبة في الاستفادة منهم، وعن تظاهر بسعة الأفق والبعد عن العصبية».

وعلى الرغم من أن الكاتب الأصلي «ر. بيريفيت» يسرد معلوماته عن اليهود في قالب قصصي حوار، فقد يكون من المناسب هنا أن نتناسى ذلك، لنهتم فحسب بالمعلومات

المختلفة التي ترد، خلال الحوار والسرد القصصي.

في طريقه إلى تحديد مراكز اليهود الرئيسية في فرنسا، يعرج الكاتب على «طقوس تهويد الفتاة» لتصبح جزءاً من الشعب المختار: تغتسل ابتغاء الطهارة في حوض خاص وبماء مجموع من ماء المطر.. ثم تغوص في اليهودية شيئاً فشيئاً، حتى إذا جاء يوم زفافها كانت يهودية حتى أطراف شعرها.

وتجري هذه الطقوس على أيدي جماعة ينتمون إلى مراكز مختلفة من العاصمة الفرنسية: الكنيس اليهودي الكبير، مركز الدراسات اليهودية في «برونوا» مطاعم الكوشر أو الكاشيرالتي لا يؤكل فيها طعام تحرمه اليهودية، المدارس المتعددة، المقبرة الخاصة في «بانييه» دور الصحف، المصارف، المحلات التجارية، دور النشر، مكاتب الدولة الرئيسية.

نصل بعد ذلك إلى مسألة اليهود المستورين واليهود الصرحاء. الذين غيروا أو حرفوا أسماءهم، والذين أبقوا كما هي. فاليهودي «فناص» ولد أصلاً في الجزائر، لكنه بعد أن ذهب إلى أميركا، أجرى تعديلاً طفيفاً على اسمه فأصبح «بناسي» إن كل اسم في أوروبا يبدأ بلفظة «غولد» هو اسم يهودي مثل: غولد كيند Goldkind غولد ماير Goldmeyer غولد ووتر Goldwater غولد يت Goldet وغولد سكي. ما عدا: غولد سميث، وغولد شميدت.. فهما اسمان مشتركان

وكل الأسماء التي تبدأ بمقطع «روت» Roth هي يهودية مثل: روثماير Rothmeyer.. روتشيلد Rothchild روتشموند Rothmund.

وهناك يهود حاولوا أن يتخلصوا من بعض الصيغ اللفظية التي تشير إلى ديانتهم فقاموا بتحريفات من مثل هذا التحريف الذي خضع له اسم «ليفي» وهكذا تمدد الاسم إلى: ليزسون، لافيت، ليفين، لاف، ليزسكي، لافي، ليفيت، ليفيت.. الخ.

Levson - Lavit - Levin - Lav - Levsky - Lavy - Lenvit - Livit الخ.

وكل اسم ينتهي بهذا المقطع «شتاين» يهودي مثل: روبنشتاين، برنشتاين، ميلشتاين - Rubenstein - Milstein.. الخ.

في ذكرى التصحيح

• د.علي دياب

تحل في هذه الأيام الذكرى السابعة والأربعون لحركة التصحيح المباركة، التي حققها القائد المؤسس، الرئيس الراحل حافظ الأسد، بعد أن تملكه الخوف على الدور الأساس لحزب البعث العربي الاشتراكي، ومحاولة عقلية، وصفت بالتسلط والمناورة، وعملت على حرف الحزب عن بوصلته الوطنية والقومية، مما دفع القائد المؤسس لأن يقف في وجه هذه العقلية، ويعبر عن رأي القواعد الحزبية، ويضع حداً لها، إذ أغرقت الحزب في ضرب من الشعارات، وأوجدت عزلة بينه وبين جماهير الشعب، على المستوى الداخلي، وكذلك خلقت أكثر من أزمة في العلاقات بين القطر العربي السوري ومحيطه العربي، بل وعلى المستوى العالمي، فجاءت حركة التصحيح لتصوب المسار، وتعيد الحزب إلى دوره الصحيح، فكانت القرارات المهمة على الصعيد الداخلي، وكذلك على الصعيد العربي والدولي، مما هيأ الجو وبالتنسيق مع الشقيقة مصر العربية، لبدء حرب تشرين عام ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف، أي بعد أقل من ثلاث سنوات من قيام الحركة التصحيحية، حيث كانت أول معركة يخوضها العرب ضد العدو الصهيوني، ولولا خيانة الشريك يومها، وإيقافه الحرب مع الكيان الصهيوني من جانب واحد، لاستطاعت هذه المعركة أن تحقق أهدافها، ولكن الأمور وبكل أسف لم تسر كما خطط لها، وعبر يومها القائد المؤسس عن هذا الموقف بقوله: "أردناها حرباً تحريرية وغيرنا أرواها حرباً تحريكية"، وكان الذي كان، بدءاً من توقيع اتفاقيات كامب ديفيد وملاحقتها السرية، التي أخرجت مصر العربية ذات الثقل العربي من ساحة الصراع العربي الصهيوني، وانتهاءً بأوسلو ووداي عربية، والتراجع تلو الآخر، لدى بعض الأنظمة العربية، وعلى الرغم من كل ذلك، فما تحقق من تضامن عربي وتنسيق في أثناء الحرب، والنتائج الإيجابية التي حققها العرب وخاصة على الصعيد الدولي، شكلت تحولاً هاماً في النظرة إلى العرب، وفي أنهم قادرون على الدفاع عن وجودهم، وأن "إسرائيل" لم تعد اسطورة، وقوة لا تقهر؟ ومنذ تلك الحرب بدأ الغرب الأوروبي عامة والأميركي خاصة، بوضع القطر العربي السوري نصب عينيه، وذلك لما يشكله من خطر على الكيان الصهيوني، وتمسك القطر العربي السوري بثوابته الوطنية ومن أهمها القضية الفلسطينية، كونها القضية المركزية للأمة العربية، وبدأت المؤامرات تتالي ضد الأمة العربية، مصوبة سهامها باتجاه سورية العربية، بعد كامب ديفيد إلى حرب الخليج الأولى، إلى غزو لبنان، إلى خلق المزيد من الإرباكات والإشكالات بين هذا القطر العربي وذاك، والقصد من ذلك هو زعزعة كيان الأمة العربية، وزجها في كثير من المعارك الداخلية والخارجية بغية إضعافها وإنهاكها، وتقسيم المقسم منها، إذ لم تعد ترصيفهم سايكس بيكو التي قسمت الدولة الواحدة إلى اثنتين وعشرين دولة!! فهم يعمدون اليوم إلى وضع سايكس بيكو جديدة لكل قطر عربي على حدة، فهذا وليس غيره، الذي يضمن لهم أمن كيانهم الصهيوني ورأس حريتهم في المنطقة، ووجدوا تجاوباً مع مخططاتهم هذه من معظم الأنظمة العربية، باستثناء القطر العربي السوري وقيادته المتمسكة بالحقوق القومية، والتي عبر عنها القائد المؤسس غير مرة، في أن الجولان احتلت من أجل فلسطين، ولو احتلت سورية كلها لن نتراجع عن تمسكنا بالقضية

نقطة على حرف

• مالك صقور



موزارت وساليري

(٢)

قلت: إن بوشكين كان متأكداً من أن ساليري قد وضع السم في كأس موزارت، ولم يشك في التهمة، ولولا ذلك، كان بإمكان بوشكين أن يضع اسمين مختلفين بدلاً من ساليري وموزارت، وبقي الموضوع نفسه، والمضمون - ذاته - عن الغيرة والحسد.

وفي رأيي، إن جوهر مأساة بوشكين (موزارت وساليري) هو الصراع الأزلي بين الخير والشر، هو الصراع بين الموهبة وعدم الموهبة، الصراع بين الأريحية والأناية، الصراع بين الأخلاق الرفيعة، والأخلاق المنحطة، الصراع بين الشهامة والنذالة، الصراع بين المروءة والخسة، الصراع بين الغرور والتكبر والتواضع، وأخيراً؛ الصراع بين كبار النفوس وصغارها.

في هذه المسرحية الشعرية التراجيدية القصيرة، يكشف بوشكين عن أنموذجين بشريين، صحيح (نموذج بشري) لكن هذين الأنموذجين ليسا عاديين، كونهما يتيمان إلى النخبة، فموزارت موسيقار عبقرى، وساليري أيضاً لم يكن نكرة في عالم الموسيقى، فهو كموسيقي مهم في عصره، وصل إلى أعلى المراتب في البلاط النمساوي، وهذا ما دفع بعض المشككين للقول: كيف يمكن لأستاذ في الموسيقى مثل ساليري، وبالمناسبة هو أستاذ كل من (بتهوفين وشوبرت وليست) أن يغدو حاسداً لموزارت ومن ثم يقتله بالسم.

لقد فهم ساليري، وأدرك، أنه لا شيء هو أمام موزارت، فاعتقد إذا أذاحه من طريقه يصبح سيد الحلبة، وتخلو له الساحة، كما يقولون...

والحسد، كما قلت، موضوع قديم، قدم البشرية والأمثلة أكثر من أن تحصى، ولقد قرن الشر بالحسد في القرآن الكريم: (ومن شر حاسد إذا حسد) لكن الحسد في هذه التراجيديا له خصوصية متميزة، وخصوصيته تنبع من العمق الذي تناوله فيه بوشكين كشاعر عظيم عبقرى أولاً، وثانياً: تأتي هذه الخصوصية من شخصية (البطلين) = الأنموذجين = اللذين جعل منهما بوشكين رمزين في الأدب والفن:

رمزان: للخير والشر، رمزان للنبل والسفالة، رمزان للطيبة والضغينة، رمزان للموهبة وضيق الأفق، رمزان للأريحية والأناية والحسد..

تبدأ المسرحية - التراجيدية - بلحظة يبدو فيها ساليري مأزوماً شاكياً، فيسرد قصته مع الموسيقى، وكيف وقف حياته كلها من أجل الفن مذ كان طفلاً وحتى اللحظة الراهنة، وكيف سعى، وجاهد طويلاً، واعتزل الناس، ناسياً النوم، والطعام لأيام متتالية، وكان يبدو له، أن المجد بعيد عنه، ولكن وبعد إصرار، ابتسم له المجد، وشعر بلذة النجاح والمجد معاً، عندها لم يحس بالحسد أو الغيرة من أحد، حتى من أكبر موسيقي عصره ألا وهو (بوتشيني) الذي أسر أهل باريس المتوحشين. ساليري، في يوم من الأيام أطلق على أهل باريس «متوحشين» لأنهم معجبون ببوتشيني، ولكن بعد ظهور موزارت في عالم الموسيقى، وبعد أن سطع نجمه اختلف كل شيء.

يقول عن نفسه:

«من قال أن ساليري الشهم

يصبح حسوداً حقيراً...»

.....يتبع

الحركة التصحيحية .. الأسباب والنتائج

• زبير سلطان



والقدرة للشعب والجيش العربي، وحقت الكثير من الانجازات الهامة لسورية والأمة العربية.

وخلال سنوات قليلة من قيام الحركة التصحيحية، بنت سورية قاعدتها المادية والمعنوية، حتى غدت رقماً هاماً في المنطقة كلها، فظهرت على أرضها آلاف المصانع والمعامل والمزارع، فبرزت فيها النهضة الاقتصادية في كل جوانبها الصناعية والزراعية والتجارية والسياحية وغيرها. واستطاعت أن تحقق التكامل الاقتصادي، وتغدو الدولة العربية الوحيدة، التي تأكل ما تزرع، وتلبس ما تصنع، وأنتجت كل ما تحتاج من دواء وغذاء وآلة. وتحسن الوضع الإنساني السوري، ويكفي أن نشير إلى مؤشر صحي، يبين لنا ما قدمته الحركة التصحيحية له، فقد ارتفع معدل الوفيات من 50 عاماً قبل الحركة إلى 63 عاماً بعد سنوات، وقبل الأزمة التي تمر بها الآن، حيث اختفت كثير من الأمراض التي كانت تجتاح القطر بسبب الفقر والجهل والتخلف، حيث حاربت الحركة هذا الثلاثي القاتل، واستطاعت أن تنجز الكثير من التخلص منها، قبل الأزمة التي حلت على القطر منذ ما يزيد على ست سنوات.

واليوم وقطرنا يعيش نهاية أزمته التي مرت به منذ آذار 2011، التي استهدفت كل إنجازات الحركة التصحيحية التي أزعجت أعداء القطر العربي السوري في الداخل والخارج، ووجدت في سورية التي غدت الدولة المثل لكثير من الدول في قدراتها الاقتصادية والسياسية والثقافية، وبدأت تحتل مقعدها بين دول العالم المتقدمة، فصنع أعداؤها المؤامرة الكونية ضدها، التي أرادت أن تدمر الدولة السورية تدميراً كلياً، إلا أن الصمود الرائع للشعب والقيادة وبطولة الجيش العربي السوري ومساندة الأصدقاء والحلفاء، أفضل المؤامرة، وبدأت تنهوى، وتنحدر إلى نحور صانعيها، وهاهي تعود سورية اليوم رويداً رويداً إلى دولة قوية موحدة مستقلة في محيطها الجغرافي والدولي. وتبقى حركة التصحيح محطة هامة في التاريخ السوري والعربي والدولي.

للمعركة، والتعاون مع دول العالم الاشتراكي وعدم الانحياز لدعم النضال العربي لتحرير الأرض. وختم المؤتمر بعد أن قرر دعم رؤية الرفيق حافظ الأسد، وانتخب قيادة قطرية جديدة من أجل تنفيذ هذه الرؤية.

ولكن العقلية المناورة المتسلطة التي اتسم بها التيار الرفض في القيادة، الذي أظهر قبول الرؤية شكلياً في المؤتمر، ولكن بعد انتهاء المؤتمر استمر في نهجه السابق، فاستخدم التسوييف في تنفيذ مقررات المؤتمر، والمناورة على الالتفاف عليها. مما دعا قواعد الحزب على عزلها، والقيام بالحركة

التصحيحية بقيادة الرفيق المناضل حافظ الأسد في ليلة 13 / 14 تشرين الثاني 1970، من أجل تصحيح مسيرة الحزب والدولة السورية، وتحقيق مقررات المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي، وأصدرت الحركة التصحيحية بيانها الشهير في 16 تشرين الثاني 1970، الذي تضمن عودة الحياة الدستورية للبلاد، وتشكيل جبهة وطنية تقدمية تضم الأحزاب الوطنية في القطر لحشد كل طاقات الشعب السوري من أجل بناء الوطن، واستعادة الأراضي العربية المحتلة، والعمل لبناء خطوات وحدوية مع الدول العربية التقدمية، وبناء تضامن عربي من أجل حشد طاقات الأمة العربية لمواجهة العدوان الصهيوني، وتحرير الأرض.

وخلال العام الأول لقيام الحركة التصحيحية؛ أنجزت حركة التصحيح بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد إنجازات هامة عدة على كل الأصعدة الداخلية والعربية والدولية. فعلى الصعيد الداخلي تم تشكيل لجنة من الأحزاب الوطنية والتقدمية لوضع ميثاق للجبهة الوطنية التقدمية، وتم تشكيل حكومة برئاسة الرفيق القائد حافظ الأسد ضمت ممثلي تلك الأحزاب، وتم تشكيل مجلس شعب مؤقت لوضع دستور دائم للبلاد، وأصدرت قانون الإدارة المحلية، وحولت سورية إلى ورشة عمل لبناء سورية الجديدة القوية عسكرياً واقتصادياً، وتم إعادة بناء القوات المسلحة، وتسليحها بالأسلحة الحديثة والمتطورة، من أجل الاستعداد لمعركة تحرير الأراضي العربية المحتلة.

وعلى الصعيد العربي عمل قائد التصحيح على إعادة بناء العلاقات العربية، وخلق تضامن فعال من أجل المعركة القادمة مع العدو الصهيوني المدعوم من القوى الإمبريالية وفي مقدمتها الولايات المتحدة. وكان هم الرفيق تقوية الجبهة العربية المحيطة بالكيان الصهيوني، فبعد شهر من قيام الحركة التصحيحية زار القاهرة، والتقى مع زعماء مصر والسودان وليبيا، الذي أسفر عن قيام الاتحاد الرباعي، الذي ضم سورية ومصر وليبيا والسودان، وتحول في نيسان 1971 إلى اتحاد ثلاثي باسم اتحاد الجمهوريات العربية، ضم سورية ومصر وليبيا، وشكلت له مؤسسات تشريعية وتنفيذية، وله مجلس رئاسة ضم رؤساء البلدان الثلاثة، ومجلس وزراء اتحادي، ومجلس شعب اتحادي انتخب الرفيق أحمد الخطيب رئيساً له. وكان مقرر أن تتحول الدولة الاتحادية دولة وحدوية متكاملة خلال سنوات، ولكن المؤامرات الداخلية والخارجية حالت دون تحقيق حلم الرئيس حافظ الأسد لإقامة دولة عربية قوية، يكون لها الحضور الدولي الهام بين الدول المتقدمة.

واستطاع قائد التصحيح خلال فترة زمنية أن يصنع المناخ الداخلي والعربي والدولي لإنجاز أكبر نصر حققه العرب في عصرهم الحديث في حرب تشرين 1973، التي أعادت جزءاً من الأرض العربية من الاحتلال الصهيوني، وإعادة الثقة بالنصر

”

عمل قائد التصحيح على إعادة بناء العلاقات العربية، وخلق تضامن فعال من أجل المعركة مع العدو الصهيوني المدعوم من القوى الإمبريالية.

”

سبعة وأربعون عاماً مرت على قيام الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس الراحل حافظ الأسد، والتي شكلت مفصلاً هاماً في تاريخ القطر العربي السوري والعرب والعالم، وحقت الكثير من النتائج الهامة على الأصعدة الداخلية والعربية والدولية كافة، ولا تزال كتب التاريخ والدراسات والأبحاث تتناولها دراسة وتقييماً لما شكلته من إعطافات هامة في تاريخ المنطقة. وفي هذه المقالة القصيرة نسلط الضوء على هذه الحركة المجيدة؛ لعلنا نكشف جزءاً صغيراً من أسبابها ونتائجها ومعطياتها، لتعريف الكثير من القراء، من الذين لم يعيشوا أحداثها، أو كانوا في سن صغير حين أعلن قيامها.

الحركة التصحيحية بدأت كحركة حزبية داخلية في حزب البعث العربي الاشتراكي، وجاءت نتيجة مخاضات فكرية وسياسية وعسكرية داخل قيادة الحزب، التي بدأت بعد انتهاء حرب حزيران 1967، هذه الحرب التي خلقت نتائجها واقعاً جديداً سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً في القطر والوطن العربي، وما أسفرت عنه من احتلال صهيوني للجولان وسيناء والضفة الغربية والقدس، وتهديد مستمر للكيان الصهيوني للقطر والبلدان العربية، من خلال عربدته في استباحة الأجواء العربية، وغطرسته بنشوة النصر الذي حققه على سورية ومصر والأردن، وعمله الدائم على تعويق أثر النكسة على نفسية العربي عسكرياً ومدنياً، لتكريس شعور الهزيمة والخوف الدائم في الذات العربية، ومنع العربي من التفكير في الرد على هذه النكسة، وأيضاً غرس الشعور بعدم القدرة على هزيمة الجندي الصهيوني، لأنه لا يقهر، حيث بلغ الغرور في قادة الكيان الصهيوني بنتائج الحرب، بأنهم قادرون على هزيمة أي قوة على الأرض.

كانت مقدمات الحركة التصحيحية في المناقشات المطولة التي جرت في قيادة الحزب بعد انتهاء حرب حزيران 1967، وكان محورها الرئيس كيفية الرد على نتائجها، ومع مرور الزمن على تلك المناقشات؛ ظهر تياران في القيادة في كيفية الرد عليها. كان التيار الأول الذي قاده الرفيق حافظ الأسد، والذي رأى بتغيير النهج السياسي والاقتصادي والحزبي الذي كان عليه القطر قبل النكسة، وبضرورة إجراء دراسة معمقة للرد عليها، وأن يتمثل هذا الرد في ضرورة حشد كل القوى الوطنية داخل القطر في جبهة واحدة، وإعادة المؤسسات التشريعية، وفي مقدمتها مجلس شعب، يمثل الشعب كله، يراقب، ويحاسب، ويشارك في صناعة القرار السياسي والاقتصادي، وتطبيق الإدارة المحلية في كل المحافظات، وإرساء دستور دائم للبلاد من قبل المؤسسة التشريعية والقانونية، حيث كان مجلس الوزراء منذ حركة الثالث والعشرين من شباط 1966 هو السلطة التنفيذية والتشريعية، والدستور الذي يعمل به في القطر كان دستوراً مؤقتاً. ورأى الرفيق حافظ الأسد أن يتحول الاقتصاد السوري إلى اقتصاد حرب، وأن يصب الجهد الحكومي والشعب والحزبي باتجاه تحرير الأرض المحتلة، ودعم بناء القوات المسلحة، وتسليحها بأحدث الأسلحة من أجل تهيئته لمعركة تحرير الأرض، وإعادة الثقة للمواطن بأن هزيمة العدو وتحرير الأرض حقيقة، وأن النصر سيكون في جانب الحق، وستتحرر الأرض من العدو الصهيوني بقوة الجيش العربي السوري، وإسقاط مقولة الجندي الصهيوني الذي لا يقهر، وأن يكون الشعار المرحلي لتحرير الأرض أولاً وأخيراً.

في حين أصر التيار الأخرى في قيادة الحزب على الاستمرار في النهج الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي كان قبل حرب حزيران، لأن العدوان الصهيوني كان بسبب هذا النهج. وازدادت الضجوة بين التيارين، وتم الاحتكام إلى المؤتمر القطري، فانعقد المؤتمر القطري الرابع الاستثنائي في آذار عام 1969، لمناقشة الأزمة الحزبية. فعرض كل تيار رؤيته، وقدم الرئيس حافظ الأسد رؤيته في الرد على النكسة بأن يصب الجهد الاقتصادي والسياسي والعسكري من أجل تحرير الأرض، وبضرورة حشد طاقات الشعب من أجلها، واحياء التضامن العربي خدمة

همنغواي.. مرة أخرى

تصور رواية (لن تقزع الأجراس) مشاهد القتل، والجرائم الفظيعة التي ارتكبتها الفاشيون، كما تصور مشهداً للأسرى الذين يجلسون راکعين، فيقتلون وهم في هجعتهم المحيرة، منهم من قتل بإطلاق النار عليه، ومنهم من قتل بالعصي ضرباً على الرؤوس ومنهم من مات خوفاً وجزعاً، أما مآل الجثث فكان مجرى النهر كفضيلاً بها، وقد اصطبغ ماؤه بلون الدم.

كثيرون من المجرمين، مجرمي الحرب، نراهم في مشهد متكرر في كنائس متعددة وهم يعترفون أمام الكهنة بخطاياهم، وذنوبهم، والجرائم التي اقترفوها من أجل أن يُغفر لهم.

مدنيون كثر ينتقمون من مسؤولي الدولة وموظفيها، ورؤساء البلديات ينالون نصيبهم من التعذيب، والتشهير، والقتل، وأصحاب المخازن والمطاحن والمعامل ينالون نصيبهم أيضاً من القصاص، فتسرق محالهم، وينهب قمحهم وطحينهم، مثلما تسرق منتجات معاملهم.

الأمكنة، من قرى ومدن ومدارس ومستشفيات وجسور ومنشآت صناعية، تنتقل من يد الجمهوريين إلى يد الفاشيين وبالعكس. وهذا ما يدل على عبثية الحرب وقذارتها، وكثرة الأيدي والمصالح والقوى والظروف التي تلعب بمصائر الناس في الحرب، ولا سيما الحرب الأهلية.

وتصور الرواية كذلك ليس العناصر المحلية أو الجهات المحلية المشاركة في الحرب فحسب، وإنما تصور أيضاً التدخل الخارجي في هذه الحرب الأهلية المجنونة التي عاشت فساداً وخراباً في أسبانيا، فقد حارب الروس إلى جانب الجمهوريين ضد الفاشيين وبكامل القوة والعزيمة، لقد تدخلوا على نحو سري بالطيران، والخبراء،

والمعلومات، بينما حارب الألمان إلى جانب الفاشيين وبكل ما يمتلكون من قوة، وعلى نحو علني مكشوف، وبذلك تحددت وجهت الحرب، وعرفت أسرار الصراع؛ كما تكشف الرواية عن اصطفاك الاشتراكيين، والشيوعيين، والمنتوريين والعلمانيين والمثقفين إلى جانب الجمهوريين، لأن كراهيتهم للفاشية أفكاراً وسلوكاً وتطلعات ومآلات جمعيتهم ووجدتهم؛ لذلك فإن رواية (لن تقزع الأجراس) رواية ليست لتصوير مجريات الحرب الأهلية الأسبانية فحسب، وإنما هي رواية مضادة للحرب، فالأجراس، أجراس النصر لن تقزع إلا للمهاجم العلق بما يحلم الناس به، لأن الخاسر في الحرب هو أسبانيا. وفي الحرب

لن يحتفل أحد من الفاشيين بالنصر أو يفرح به لأن البلد دمر تماماً، ولأن الأحلام وندت؛ إنها رواية تصرخ صفحاتها، بل أسطرها وبالصوت العالي؛ لا للحرب!

بطل الرواية الأمريكي (روبرت جوردن) يفقد ساقه، في أثناء نسفه لأحد الجسور، فيطلب من حبيبته (ماريا) أن تهرب كي لا تقع ضحية لمشكلات وكواره جديدة، وفي طالعها طمع الفاشيين بجسدها الجميل؛ فستجيب إليه، تتركه، ثم تهرب بعيداً وتتموضع أحوال الحرب على شكل مأساوي يدمي القلب، مليون قتيل، خراب وتدمير وأحزان تعرش في كل مكان حتى لتبدو كأنها حقول من الشوك، وكلها طالت بأذياتها القرى والمدن والحياة بكل وجوهها، أمهات تكلن، مقابر وسيعة، أيتام يشكلون

حشوداً لم تعرفها أسبانيا من قبل.

رواية (لن تقزع الأجراس) وقوف على الحرب الأهلية الأسبانية، بوصفها جرحاً غائراً في التاريخ الأسباني، وصرخة موجعة ضد الحرب وصناعها، ولا كبيرة ضد اجتماع هؤلاء البشر الذين لا أحلام لهم سوى الأحلام الناهضة بالشرور فوق جثث الآخرين ودمائهم، وخراب أحلامهم واشتركتهم في حرب قذرة.

مكان رواية (لن تقزع الأجراس) البلاد الأسبانية، أما زمنها فهو أربعة أيام تصف الحرب وقذارتها، كما تصف الخاسرين فيها والرايحين منها أيضاً، إنها الرواية المنادية بالصوت العالي؛ لا للحرب، لا للوحشية!

عاش الكاتب الأمريكي الشهير أرنست همنغواي حياةً اتسمت بالعنف والمغامرة والجرأة والجسارة، فقد تنقل من بلد إلى بلد في أوروبا ومخلفاً وراءه الولايات المتحدة الأمريكية لأنه آمن بأن الأدب شقيق الأحداث، فقد عاش الحرب العالمية الثانية محارباً من المحاربين، مثلما عاش حياة البحر كواحد نذر حياته للبحر، وناصر القضايا التي تناهت بها الشعوب من حرية، وحقوق، وعدالة اجتماعية وكأنه خلق من أجل حمل لواء هذه النداءات السامية.

كتب أرنست همنغواي رواية (لن تقزع الأجراس) في مدينة (هافانا) عاصمة كوبا بعد انتهاء الحرب الأهلية الأسبانية (1940)، وقبل بدء أحداث عابثة على غاية من الأهلية والتأثير، مثل الحرب العالمية الثانية.

تجول أحداث الرواية في عوالم الحرب الأهلية الأسبانية، بل هي رواية الحرب الأهلية الأسبانية التي لم يكتبها كاتب أسباني. تقف رواية (لن تقزع الأجراس) عند مجريات الحرب الأهلية الأسبانية فتصور طريفي المواجهة، الجمهوريين من جهة، وأنصار الفاشية من جهة أخرى. وتمشي في دورب الحرب، وما آلت إليه من ويلات وكوارث وتكبات ومأس، فقد أخذت الحرب قرابة مليون إنسان، كما أخذت الوجه العمراني والحضاري الأسباني الجميل لأن الدمار طال كل شيء.

بطولة الرواية أمريكية، يمثلها (روبرت جوردن) المتطوع في الحرب والمناصر للجمهوريين، والذي يعمل خلف خنادق الفاشيين، ولعل هذا البطل كان صديقاً لـ أرنست همنغواي الذي شارك في فاعليات هذه الحرب، وجرح فيها غير مرة.

وكلاهما كان يتقن اللغة الأسبانية، (روبرت جوردن) خبير في نفس الجسور، والمنشآت العسكرية لذلك فهو يقوم بدور مهم في نفس بعض الجسور التي كانت تساعد الفاشيين على إمدادهم بالأسلحة والذخائر والمؤن والمساعدات.

يتعرف (روبرت جوردن) إلى فتاة أسبانية اسمها (ماريا)، ويجد الاثنان أن الكثير من المشتركات بينهما كحب الجمهوريين، والقتال إلى جانبهم، وحب الحياة، وحب أسبانيا، وكرههما للحرب.. تساندتهما من أجل أن يفرم أحدهما بالآخر.

ولعل أكثر ما أثر في نفس (روبرت جوردن) هو ما قصته (ماريا) عليه من أنها اغتصبت غير مرة من قبل الفاشيين تنكيلاً بها، وانتقاماً من أسرتها، بعد أن قتلوا أباه وأمه لأنها كانتا مناصرين للجمهورية، فأبواها كان رئيساً لبلدية القرية وكان محبوباً ومقدراً من أهالي البلدة، وأمه كانت صاحبة حضور وسلوك فاضل، وأنها سمعت والديها يهتفان قبل أن يعدموا؛ تحيا الجمهورية! لقد أطلقوا عليهما النار بعد أن أوقفوهما أمام جدار مسلخ القرية، كي تضيق دماؤهما وسط دماء الذبائح في المسلخ.

وتروي (ماريا) لـ (جوردن) بأنها أخذت مع غيرها من فتيات القرية، واغتصبن بوحشية، وأن الفاشيين اعتدوا على أنوثتهن، فقد مزقوا ثيابهن، وعلقوا شعورهن، وأجبروهن على ابتلاع خصلات من شعرهن، وخنقت بعض الفتيات بجداول شعرهن الطويل، وقد هزت مشاعر صديقها (روبرت جوردن) حين قالت له إنها اقتيدت إلى مكتب والدها في البلدية، وهناك تناوب الفاشيون عليها لكي يغتصبوها غير عابئين بصراخها وبكائها. وصارحت (روبرت جوردن) بأن وحشية الاغتصاب التي تعرضت إليها قد تكون حائلاً بينها وبين الإنجاب، ولذلك فإنها

تنصح (روبرت جوردن) بعدم الارتباط بها كزوجة لأنها لن تكون أما لأولاده لأنهم ببساطة شديدة لن يأتوا! لكن كل ما قصته (ماريا) وفيه الكثير من التراخيديا، دفع (روبرت جوردن) إلى أن يحبها أكثر، وأن يتعلق بها أكثر أيضاً.

اليوم الأغر..

د. اسكندر لوقا



في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني عام 1970 بدأت في سورية، مرحلة التحول الشامل والكبير، وكانت بحق مرحلة تحدي أعداها بكل ما في الكلمة من معنى، وذلك قياساً على المرحلة السابقة التي لم تكن مؤهلة لقيادة السفينة في زمن تلاطم الأمواج على شواطئنا وعتو العواصف فوق سمائنا رداً على تداعيات ثورة آذار المجيدة وتفاعل الجماهير الشعبية معها.

في السادس عشر من تشرين الثاني عام 1970 جاءت الحركة التصحيحية « تقويماً لأخطاء الماضي ومسيرة الثورة. كانت استجابة لأمني الشعب وأماله واستلهاماً لرغباته » وذلك على حد قول القائد الخالد الرئيس حافظ الأسد الذي أضاف في السياق ذاته « في زمن الحركة التصحيحية تعززت علاقة الشعب بقيادته وأصبحت الأرضية التي ساهمت في بناء الثقة بين الطرفين ».

ولأن الحركة التصحيحية أولت الإنسان كل عنايتها لأنه منطلق الحياة وغايتها، فقد غدت الأمل في مستقبل منتظر لا خنوع فيه لمستعمر ولا استسلاماً لغز، وكانت أيضاً اليوم المنتظر الذي أوصل سورية، بشعبها وجيشها وقيادتها إلى يوم النصر في السادس من شهر تشرين الأول في عام 1973.

ولأن هذا اليوم الأغر الذي نحتفل بذكره السنوية كان بحق يوم مسيرة نضالية جماهيرية، فقد أوصلنا القائد الخالد الرئيس حافظ الأسد الاحتفاظ بمعطياته التي تحققت على الأرض، وذلك بقوله « المسيرة النضالية يجب ألا تتوقف، والنضال يجب ألا يكون أمراً طارئاً، بل يجب أن يكون حياتنا العادية يملؤها ولا يترك فيها فراغاً. نعيش معاً. ندمج معاً. وعندما لا يستطيع العدو أن يجد فراغاً بيننا وبين نضالنا على مسار الزمن سيكون النصر».

من هنا كان بروز المواقف الوطنية والقومية المبدئية، تلك التي عكست الثوابت الاستراتيجية للحركة التصحيحية، فكان شعار النضال المستدام لتحقيق الوحدة العربية والنضال العربي، وكان التمسك بمواقف الصمود القومي في مواجهة العدو الصهيوني والإمبريالية العالمية، وكان نصر تشرين التحرير وكل ما حققته الحركة التصحيحية على الأصعدة المختلفة في ربوع الوطن، سياسياً واقتصادياً وثقافياً، فضلاً عن رفد قواتنا المسلحة بما جعلها قادرة على لي ذراع العدو وإفشال مخططاته ومن يقف وراءه من قوى غدت مكشوفة أمام الرأي العام المحلي والعالمي.

ونحن إذ نستذكر هذا اليوم الأغر في تاريخنا الحديث، نستذكر تداعياته على أرض الواقع، على مدى ما يقارب السبع سنوات من العدوان الوحشي علينا، والذي فشل عن تحقيق أغراضه، على الرغم من كل المحاولات لعزل أبناء شعبنا، مدنيين وعسكريين، عن قيادته التي تقود سفينة الوطن، بكل حكمة واقتدار، إلى شاطئ الأمن والأمان.

دفقة حياة

• فلك حصرية



سبعة وأربعون عاماً مضت على قيام حركة التصحيح والإصلاح والتطوير التي قادها الرئيس المؤسس حافظ الأسد في السادس عشر من تشرين الثاني من العام 1970... الحركة المجيدة التي نحتفل فيها ووطننا الحبيب بخاصة والوطن العربي بعامة يمر بظروف وتحديات كبيرة تستهدف الوجود والهوية والثوابت القومية والعروبة والمصير والبقاء... نحتفل بذكرها ورجال الله من أبطال جيشنا العربي السوري يحققون الانتصار تلو الآخر على خفافيش الظلام، ودعاة التجهيل والقتل والتخلف من أعداء النور والحق والعلم والإسلام، والبناء والتقدم والازدهار دواعش الباطل، وسياف المجازر والدماء... وقطاعي الرؤوس وسافكي الحياة والكرامة والأمان.

لقد تعمقت - وعبر تقدم الزمن - قضية حق الشعوب في تقرير مصيرها، وأن هذا الحق يؤخذ ولا يعطى، وتفرضه القوة فرضاً ولا يأخذه شعب بالمهادنة والتنازلات، فنحن شعب نأبي الضيم، ونرفض الخنوع، ونحارب الظلم، ونعشق الموت عشقنا للحياة وأكثر وهذا ما عمقته في نفوسنا، وبعثته في حياتنا وجسدته في تاريخنا منظومة المقاومة وأبجدية العفوان والآثر العربي التاريخي المشرف والنبيل وقد خطه أبطال فوارس الحقوا الدنيا ببستان هشام وفتحوا العالم وعبروا البحار وجاهدوا ورفضوا الذل والاستكانة والاستعمار في صورته كافة فكان الامتداد لطارق بن زياد وعقبه بن نافع والحجاج بن يوسف الثقفي وعمرو بن العاص، وصالح الدين الأيوبي، وخالد بن الوليد ويوسف العظمة وسليمان الحلبي والشيخ صالح العلي وسلطان باشا الأطرش ومحمد الأشمر... و...

لقد كانت الحركة التصحيحية المجيدة الوجه الأكثر ضياء لمفهوم البطولة والشهادة والعطاء بلا حدود فها هو القائد المؤسس يقول في إحدى كلماته: «الشهيد هو من جسّد الأبياء بشكل كامل، وجسّد الإرادة والتصميم بشكل كامل، فلنقتد جميعاً بالشهيد عندما يقتضي الأمر»

فالوطن هو العرض، والكرامة، والهوية، والحياة، فلا كرامة لإنسان خارج وطنه، ولا هوية لحي في أرض غير بلده، ولا عرض لأدم مشرد بلا تراب يتنسم في ذراته شذى جدوده وتاريخهم، ولا حياة تحلو إذا لم تستظله سماء وطنه فما أروع وطن الإباء وما أرفع بطولته فارس آمن بأن الشهادة طريق النصر وأن النصر حليف الشجاع. يقول القائد المؤسس حافظ الأسد في هذا: «لنكسر الاستشهاد كقيمة عليا في المجتمع. الاستشهاد هو الضرورة الأساسية لكل كفاح وطني ضد الغزاة والمستعمرين وهو القاعدة الأساسية والتي لا غنى عنها، ولا بديل لها في حماية الوطن وتحرير الأرض».

إن الأوطان لا يمكن أن تبني، وتعلو، وتشمخ، وتعز، وتسمو إلا إذا ضحى الأبناء بأرواحهم في سبيلها، وقدموا أرواحهم ثمناً لحرمتها وكرامتها ووجودها، والتاريخ يشهد كيف طردنا الغزاة من عثمانيين وفرنسيين من أرضنا، وصنع أبطالنا فخار حرب تشرين التحريرية في السادس من تشرين الأول 1973 وما كان لذلك أن يكون لولا الشهيد الذي يقول فيه القائد المؤسس:

«الشهيد وجد حياته في حياة الآخرين، ورأى وجوده في وجود الآخرين، فلنمجد الشهادة، ولنكبر في نفوسنا جميعاً، ولنكن طريقنا عندما ينادي الوطن».

فالشهيد إنما يجد حياته في حياة الآخرين، والشهادة هي قمة القيم وذمة الذمم، والماضون من شهداء الحق في مقعد صدق عند حكيم مقتدر وهم خالدون أبداً، وأحياء عند ربهم يستبشرون بمن سيلحق بهم من الأبطال. إنهم الشعلة والمنارة والضياء وشمس الحق التي لا تغيب:

«الشهداء أكرم من في الدنيا، وأبل بني البشر»

ولا يقف القائد المؤسس عند هذا الحد من تكريم الشهادة والشهداء بل يؤكد على تكريمهم بقوله:

«يجب أن نعرف كيف نكرم الشهداء» ليأتي التكريم من خلالهم للأبناء وعائلاتهم وأسرة وأمهاتهم وآبائهم، وتطلق أسماءهم على المدارس والشوارع تخليداً لذكراهم العطرة الطيبة الخالدة فهم حماة الوطن، وطن لا يعرف الخنوع والذل، ولا يتوانى عن تقديم كل ما يملك من غال وثمانين، وأبناء ورجال، دفاعاً عن كرامة أرضه، وشموخ تاريخه.. واليوم ونحن نعيش الذكرى في إحدى وجوه العطاء لمن يستحق هذا العطاء، وتنصف الشهادة مجدداً وخلوداً في فكر قائد التصحيح الخالد نرداد فخاراً وعزة ونحن نرى الأبناء يسبغون على خطأ الأبياء في جيشنا العظيم الجيش العربي السوري، جيش السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد خير خلف لخير سلف، قائد صامد حضر كرامة سورية بشجاعة الفارس، وتواضع الحصيف، الحكيم، المؤمن بأن شعباً آمن بالنصر وضحى من أجله لابد - أبداً .. منتصر... منتصر... منتصر...

• د. تركي صقر



استفاق السوريون صبيحة السادس عشر من تشرين الثاني عام 1970 على حدث هام ومفصلي لا يشبه الأحداث السابقة المتكررة التي اعتادوا على سماعها عبر البيان رقم واحد وكانت تسميتها الدارجة الانقلابات العسكرية حيث كان الحدث الجديد يحمل مضامين مغايرة لكل ما سبقه ورسم بيانه الأول صورة واضحة لبناء سورية الغد بما يحقق لها التطور والاستقرار والمنعة وبعدها عن اضطراب الخضات الانقلابية ورياحها الخارجية الفاسدة التي حولت سورية إلى ألعوبة بيد القوى المعادية ولعل أهم ما ميز الحدث الجديد أنه كان حركة شعبية جماهيرية داخلية نقية لا يد فيها لغير أبناء الوطن وطموحاتهم المشروعة التي انبثقت كلها من الثوابت الوطنية الأصيلة للشعب السوري.

وللحقيقة إن الرئيس حافظ الأسد لم يتردد بالتقاط اللحظة التاريخية المناسبة والظرف المناسب فاتخذ قراراً مصيرياً ونهائياً بوقف القرارات المغامرة، والسياسات الحاملة الرغائبية والعميلة أحياناً، وطي صفحة الانقلابات العسكرية التي لا تنتهي والتي ألحقت الأذى بسورية على عدة صعد ومستويات منها: الإساءة إلى الجيش العربي السوري، وتشويه عقيدته القتالية، وازدياد عزلة سورية، وتعريض استقلالها لخطر داهم، وحرف جهودها عن حربها الحقيقية وبوصلتها الأقدس؛ فلسطين والجولان فجاءت الحركة التصحيحية بقيادة الرئيس حافظ الأسد في 16 تشرين الثاني عام 1970 كرد تاريخي على هذه التحديات والأخطار؛ فتمكن هذا القائد الكبير من إسقاط عدة مشاريع دفعة واحدة؛ خصوصاً وأن السادات أستلم الحكم في مصر، وكانت أولى أولوياته اللاحق بالتسوية السياسية للصراع في المشرق العربي وفق صيغة يعمل عليها الأمريكيان لصالح العدو الإسرائيلي بينما كان هم الأسد وشغله الشاغل تحرير الأرض العربية في الجولان وفلسطين، وهي القضية التي بقيت مسكونة في أعماقه.

ولهذا يمكن القول إن سورية قبل السادس عشر من تشرين الأول عام 1970 ليست كما هي بعدها فسورية في ظل الحركة التصحيحية التي قادها القائد المؤسس الرئيس حافظ الأسد بمنجزاتها الباهرة لم تبق سورية قبل التصحيح باضطراباتها وتقلبات السلطة فيها وهي التقلبات التي أدت إلى عدم استقرارها نهضياً وتنموياً وقبل كل شيء اضطرابها أمنياً وسياسياً ومعلوم أن الحياة السياسية في سورية منذ إعلان الجلاء عن الانتداب الفرنسي عام 1946 وخلال خمسة وعشرين عاماً حالة من التجاذبات الحادة بين القوى الخارجية وسط زحمة من المشاريع والتحالفات والأحلاف الأجنبية لاحتواء دول المنطقة من خلال الاصطفاف إلى جانب هذا الحلف أو ذاك وقد وصف هذه الحالة خير توصيف الكاتب والصحفي البريطاني المعروف باتريك سيل في كتابه الصراع على سورية.

نقول إن سورية كانت طوال ربع قرن تعيش حالة التكالب عليها والصراع للتمكن منها من قبل القوى الاستعمارية القديمة المتمثلة ببريطانيا وفرنسا التي لم تغادر المنطقة بعد استقلال معظم دولها سياسياً حيث سعت إلى ربط هذه الدول وفي المقدمة سورية باتفاقات وأحلاف تكبلها وتجعلها تابعة تبعية شبه مطلقة، إلا أن القوى الاستعمارية القديمة البريطانية والفرنسية جرى تكتيسها من الولايات المتحدة الأمريكية إثر هزيمتها في حرب السويس وفشل العدوان الثلاثي عام 1956 على مصر ودخلت واشنطن المنطقة بقوة ولكن بقضازات ناعمة وشعارات براقية هذه المرة لتحقيق التقدم والرشاهية ووعود معسولة بالمساعدات الاقتصادية لتحقيق التنمية والنهوض وذهب هذا كله أدراج الرياح وذاب الثلج وبان المرج كما يقول المثل ليتبين أن كل ما تقوم به الولايات المتحدة في المنطقة يخدم جهة واحدة هي دولة الكيان الصهيوني الغاصب. وإزاء هذا الواقع وتحدياته المريرة وجدت الحركة التصحيحية نفسها في قلب هذه العواصف تحوض

معاركها الداخلية والخارجية بقوة جماهير شعبها التي التفت حولها بزخم منقطع النظير منذ اللحظات الأولى لانطلاقتها وشكلت من خلال هذا الائتلاف المذهل وحدة وطنية قوية وجبهة داخلية صلبة أعانت قائد التصحيح الرئيس حافظ الأسد على تحقيق الانتصار في جل المعارك التي خاضها في الخارج والداخل فكان الانتصار في حرب تشرين التحريرية عام 1973 وإسقاط أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر وكانت معارك الحرب الأولى على الإرهاب في الداخل التي أسفرت عن القضاء على عصابات الإخوان المسلمين في ثمانينيات القرن الماضي ولم تتوقف في الوقت نفسه عجلة البناء والتنمية عن الدوران وتسارعت الخطا لمزيد من الإنجازات والمكاسب التي حققت نقلات نوعية في حياة السوريين.

لقد كان القائد حافظ الأسد بحق صانع التشريين التصحيح والتحرير ولولا عزمته القوية وإرادته الفولاذية وقراره الاستراتيجي الحاسم لما كانت حرب تشرين التي كان يريدها حرباً للتحرير بينما أرادها السادات حرباً للتحرير ومع ذلك لازالت هذه الحرب علامة فارقة في التاريخ العربي المعاصر وأهم إنجازات العرب في العصر الحديث التي صححت مجرى التاريخ، «لتستقيم» بها الجغرافيا وتواصلت الإنجازات الكبرى وتنازلت المواقف الشجاعة فكان تأييد الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979 الذي لم يجرؤ أي طرف عربي عليه وكان الإقدام على إطفاء حريق الحرب الأهلية في لبنان الذي كان عملاً قومياً وتضحية كبيرة بامتياز كما كان رفض اتفاقيات كامب ديفيد المذلّة وتبعها الموقف الحكيم من الحرب العراقية الإيرانية وضرورة وقفها بكل السبل وهنا عاد باتريك سيل على إثر ذلك لينشر كتابه الثاني بعنوان الأسد والصراع في الشرق الأوسط ويقلب فيه المعادلة التي كانت محور كتابه السابق الصراع على سورية إلى المعادلة الجديدة التي أوجدتها الحركة التصحيحية وهي الصراع مع سورية وهي شهادة كبيرة من صحفي بريطاني بارز مقرب جداً من دوائر القرار والأسرار في بريطانيا وتعني أن سورية في عهد التصحيح بقيادة الرئيس حافظ الأسد لم تعد الطرف الأضعف الذي تتصارع عليه القوى الأجنبية بل أضحت اللاعب الأقوى الذي يتصارع معها ويحقق الانتصارات ويبركها بعد زمن من الانكسارات والهزائم.. ويفضل روح التشريين ورصيد التصحيح المجيد بوجهه السوري المشرق وبقيادة الرئيس بشار الأسد تواصل سورية اليوم كفاحها منذ سبع سنوات في مواجهة الحرب العدوانية الكونية التي استخدموا فيها هذه المرة العصابات الإرهابية التكفيرية جيوشاً لإخضاع المنطقة واستطاعت بهذه الروح أن تحقق انتصارات على الإرهاب أدهشت العالم وعجزت قوى العدوان وأطرافه الإقليمية والدولية المتعددة أن ترفع سورية وانكسرت مشاريعهم ومشاريع العدو الإسرائيلي بإسقاط الدولة السورية ويات الانتصار النهائي قاب قوسين أو أدنى.

من وحي التصحيح

• د. سليم بركات



قد يتمكن الكاتب من دخول العوالم الطبيعية ليتحدث عنها بموضوعية، وبحسب ما يتوفر لديه من معلومات، لكنه قد لا يتمكن من دخول عالم الإنسان، الذي لا يقاس بالسكون وإنما يقاس بالحركة، ومن خلال كونه عالم العواطف والمشاعر، فيه المزاج والانفعال، فيه المعرفة والوعي، وفيه القدرات والإمكانات... إن عالم الإنسان يعرف ويتميز بخصوصياته، ومن خلال طموحاته وأحلامه، وعطاءاته وإبداعاته. أنه عالم له ماضيه وحاضره ومستقبله، يعيش الحركة والتأثر والتأثير، ويتفاعل مع الطبيعة والظروف، ومع الحياة من خلال التجديد والتطور. وإذا كان الحديث عن الإنسان العادي يحتاج إلى هذا الجهد من الكتابة فكيف بالنسبة للإنسان المناضل، الذي لا بد من أن يعطى حق قدره في الكتابة، وهل نبالغ إذا قلنا إن القلم المرتزق لا يأبه بالحقيقة، وإن القلم المناضل يعيش هذه الحقيقة.

لقد كان القائد المؤسس حافظ الأسد رجل لا كالرجال، لقد ملك من الرجولة قيمها وفضائلها، وبقي في الحلبه مرفوع الهامة واثقا من نفسه، من قضيته، من حزبه، ما هاب الأعداء والطغاة يوما، رغم ما ملكوه من أدوات البطش، بل زاده ذلك إصرارا على النضال وصمودا في التحدي وكيف لا يكون كذلك وقد قاد المظاهرات، ونظم عمليات المقاومة وصارع المناوئين للأهداف الوطنية القومية. وكيف لا يكون كذلك وقد دخل حلبه المسؤولية وهو يتصدى للمتمردين والخائفين من خلال الالتزام بالأسلوب الحزبي الديمقراطي المدعم بالحجة القومية والمنطق الجريء. وكيف لا يكون كذلك ورائده أهداف الحزب ووحدة الجماهير، لا يتستر على الأخطاء (ولا يريد لأحد أن يسكت عن الخطأ).

ما أوجنا إلى كتابة التاريخ في ضوء الفعل لا في ضوء الانفعال، حتى لا تظهر الأخطاء صوابا، ويظهر التقصير عطاء ويظهر الظلم عدلا. كم نحن بأمس الحاجة إلى الموضوعية في الكتابة، كي يشار إلى الأخطاء والمخطئين وإلى الصواب والمصيبين، وكي تبني الأجيال بناء صحيحا وهي تفكر بحرية ومسؤولية، حتى تصان الحقيقة بالحرص عليها والدفاع عنها.

من هذا المنطلق نتحدث عن ثورة التصحيح من أجل التصحيح، نتحدث عن تجربة القائد المؤسس حافظ الأسد، التي تعيش فينا مواقفنا المتجددة المتطورة، تجربة لا يمكن تقويمها كحدث مر، والحدث مازال قائما في دنيا العرب، فلا الفكر الذي غرسه فينا بطل التصحيح قد نضب، ولا الملحمة التي نواجه فيها أعداءنا قد انتهت. زد على ذلك إن الوفاء للحقيقة لا بد من أن يكون رائدا، وكيف لا يكون رائدا والوسائل متوفرة لدينا، ونحن نعيش وقائع التجربة بكثير من الحرص والالتزام، وبتقدير عال للموضوعية والوفاء للتاريخ والأجيال.

سورية اليوم ليست الوطن الذي يضم الملايين من الشعب العربي فقط، سورية اليوم هي بلاد العرب والقلب النابض في الوطن العربي، سورية اليوم هي بعث العروبة ووعيه الملتزم بقضايا الأمة العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية. إنها قلب المقاومة والإرادة الحرة الصامدة في مواجهة أعداء العرب ومن أجل العرب، لم يقف شعبها المناضل وجنديها المقاتل في يوم من الأيام ليدافع عنها فقط، وإنما وقف ليدافع عن الشعب العربي والوطن العربي برمته. كيف لا ومطالب سورية لم تكن في عهد القائد المؤسس حافظ الأسد مطالب قطرية، وإنما كانت ومازالت مطالبها وطنية وقومية رائدها كرامة وحرية ووحدة العرب.

حين أعلن القائد المؤسس التعددية السياسية في 16 تشرين الثاني عام 1970 ما كان هذا الإعلان انسجاما مع دعوة النظام العالمي الجديد، وحين كانت الأحزاب السياسية تصارع بعضها بعضا، وتتفاوت مع بعضها في الفكر والأسلوب والنضال والمواقف لم يكن القائد المؤسس مقابلا لها، ولم يضق ذرعا بها، وإنما حرص عليها، ووثق بها، واحترم قناعاتها وتاريخها، ودعاها إلى الحوار الديمقراطي مع حزب البعث العربي الاشتراكي من أجل إيجاد تصور مشترك يحيط بالواقع العربي، ويتجه به نحو مستقبل أفضل، وهل بجانب الحقيقة إذا قلنا إن القائد المؤسس حافظ الأسد كان أول حاكم عربي أقام جبهة وطنية تقدمية، كانت النواة لقيام

هذه الحركة حتى التقت مع أشقائها العرب في مصر وليبيا من خلال اتحاد فيدرالي كخطوة أولى على طريق الوحدة العربية، كما كان التضامن العربي في مواجهة التحالف الامبريالي الصهيوني مع رد الاعتبار للعرب من خلال حرب تشرين التحريرية، المنعطف الكبير في تاريخ العرب، وبالتالي كان التدخل العربي السوري في لبنان لرحن الدماء العربية ومنع التقسيم، وكانت إقامة جبهة الصمود والتصدي على مستوى الوطن العربي، وكان ما تلاها من مواجهة لاتفاقيات الاستسلام وعلى رأسها اتفاقية كامب ديفيد، واتفاقية وادي عربة.

لقد شغلت ظاهرة القائد الخالد حافظ الأسد المفكرين لأنها لم تخضع للقوانين التقليدية، ولأنها ظاهرة الاستثناء في تاريخ العرب الحديث والمعاصر من حيث الخط الواحد والموقف النقدي المتجدد المتطور، ومن المحال أن يذكر القادة العظام في التاريخ دون أن يذكر القائد التاريخي حافظ الأسد، وحين نستعرض تاريخ هؤلاء القادة نجد أنهم لم يأتوا طفرة، أو فقرة غير متوقعة ودون مقدمات تمهد لها، فالإنجاز الكبير لا يأتي من العدم ودون أن يمتلك نفوذه وتأثيره في الجماهير باعتبارها النموذج والأمل. وهل بجانب الحقيقة إذا قلنا أن الدور القيادي غير الدور السلطوي ففي الأول قضية ونضال، وفي الثاني تنظيم وسياسة، وشتان بين الدورين إذا لم يلتقيا معا. وهل بجانب الحقيقة أيضا إذا قلنا أن في ظاهرة الحكم يكون سبق الشعوب على حكاهم بالمطالب الوطنية والاجتماعية والقومية وأن في ظاهرة القيادة التاريخية يكون سبق القادة على الشعوب بالمطالبة بحقوقهم وبتلبية هذه المطالب، وكيف لا يكون ذلك والحاكم يعيش مسؤوليات الحكم بينما القائد يعيش مسؤوليات الشعب.

لم تكن الحركة التصحيحية سوى وفاء لميلاد الحزب، ووفاء لثورة الثامن من آذار، وصدق مع النضال والمناضلين، ولوردنا أن نلخص أهدافها وإنجازاتها لقلنا إنها إرادة عربية حرة، ومن قائد حر لشعب حر، إنها وقفة شموخ عربي من أجل المزيد من الصمود والتصدي والمزيد من البناء والعطاء، إنها قضية عربية قامت على إرساء دعائم الوحدة بدليل ريادتها لكل تجربة وحدوية في الوطن العربي، إنها سورية التي تحمل اليوم هموم العرب بقيادة الرئيس بشار الأسد، وهي تدافع عن كرامتهم وقضاياهم في مواجهة التحالف الأميركي الإسرائيلي الرجعي، وفي مواجهة هذه الحرب الكونية الإرهابية القذرة التي تستهدف سورية والأمة العربية.

الوحدة الوطنية على مستوى الجمهورية العربية السورية. لقد جاءت الحركة التصحيحية المباركة بدم جديد وفكر جديد وأسلوب جديد، ولقد ترجمت شعاراتها على أرض الواقع داخلها وعربيا ودوليا منذ قيامها، ومن خلال تبنيها لمجلس الشعب ومجالس الإدارة المحلية كخطوة أولى في إرساء معالم الديمقراطية الشعبية، ومن خلال تبنيها لقيام الجبهة الوطنية التقدمية كخطوة أولى وأساسية للوحدة الوطنية ومن خلال التزامها بتوسيع المؤسسات والمنظمات الشعبية كخطوة أولى لاستيلاء الشعب على مقدراته، بتقوية القطاع العام وتعزيز مشاريع التنمية كخطوة أولى في ترسيخ دعائم

سورية اليوم ليست الوطن الذي يضم الملايين من الشعب العربي فقط، سورية اليوم هي بلاد العرب والقلب النابض في الوطن العربي،

الاشتراكية. وليس من مجال هنا للحديث المفصل عن المدارس والجامعات وعن المعامل والمصانع والجسور ولا عن السدود والمزارع، ولا عن التقنية الحديثة، ولا عن الأخذ بأسباب العلم والتقدم فאלكل يعلم إن سورية قد تحولت في ظل الحركة التصحيحية إلى ورشة عمل فاقت على ما قبلها باضعاف المرات من حيث انتشار المؤسسات، وبناء المساكن، ومد الطرق وإقامة الجسور والسدود واصطلاح الأراضي... ومع تضاعف سكان سورية كان تضاعف الإنتاج في كل المجالات وعلى الصعيد كافة.

لقد كان السادس عشر من تشرين الثاني ظاهرة قومية مشرفة في دنيا العرب، كانت من أولى خطواتها الاتجاه نحو الوحدة العربية، إذ لم يمض شهر واحد على ميلاد

من وحي الأمة

• د. فايز عز الدين



وَمَضَاتُ مَجْدِكَ أترَعْنَتِي تَطْرُبًا
وَلَعْمَرِي مَجْدُكَ فِي الزَّمَانِ يَطْرُبُ
فَبَأَيِّ مَرْغَمَةٍ أَصَبْتُ تَقْرُبًا
طَوْتُ السُّنُونُ وَشَمْسُنَا تَتَعَرَّبُ؟
أَنْظِلْ نَهْرُكَ كَالْعَبِيدِ تَقْرُبًا
وَكُفَى بِغَمْغَمَةِ الْعَبِيدِ تَقْرُبًا؟
غَبِرْتُ مَنَاسِكَ أَشْعَلْتَنَا تَوْشِيًا
لَهْوِي الْعَرُوبِيَّةُ عَشَقْنَا يَتَوَثَّبُ
أَلَامٌ نَنْفِرُ بِالْعَقُولِ تَعْصَبًا
وَلَعْمَرِي مَا نَهَجَ الْبَدِيعُ تَعْصَبُ؟
زَرَعُوا الْجَهَالَةَ فِي الصُّدُورِ تَأْوَبًا
فَهَزِرْنَا فِي فَلَكَ النَّوَى تَتَأَوَّبُ
وَرَأَوْا بِعَهْدَتِنَا الْعَرِيقَةَ مَارِبًا
لِيَذُلَّ غَاشِيَةُ الْقُلُوبِ الْمَارِبُ
أَوْ تَبَقَى غَايَاتِ النَّفُوسِ تَمَذْهَبًا
وَلَمَّا سَنَأْتِي ظَلَمَهُ نَتَمَذْهَبُ؟
عَقَمْتُ رُؤَايَا بِنَا عِترَانَا تَطْلُبًا
فَإِذَا الْعُقُولُ بُوهِجَهَا لَا تَطْلُبُ
وَسَمْنَا مَدَّ خَلِيِّ الْوَفَا ضُ تَسْرِبًا
فَمَضِينَا مِنْ قَلْقِ الْأَسَى نَتَسْرِبُ؟
أَنْبِيحُ مَعْتَنَقَ الْوُجُودِ تَدْرِبًا
وَنَشِيحُ عَنْ لَعْنِ الَّذِينَ تَدْرِبُوا؟
قِيمٌ غَزَّتْنَا وَبِتْنَا فِيهَا تَحْسَبًا
سَبُلُ الْأَفْوَالِ فَكَيْفَ لَا نَتَحْسَبُ؟
رَجَمْتَنَا مِنْ تَكْدِ الْعَصُورِ تَشْعَبًا
وَبِعِزِّ مَتَشَحِّ الدُّجَى تَتَشْعَبُ
وَعَدَا الْمَصِيرُ لَنَا عَلَيْهَا تَعْلَبًا
فَتَقَاطَرَتْ نَزْوَاتُنَا تَتَعْلَبُ

أَزَفَ الْبَلَاءُ وَمَا اشْتَرَعْنَا تَقَطُّبًا
وَدَهَى بِأَرْوَقَةِ الْبَلَاءِ تَقَطُّبُ
أُمَّ تَطُلُ مِنَ الضُّجُورِ تَحْرَبًا
وَعَلَى تَحْرَبِ غَيْرِهَا تَتَحْرَبُ
وَتَهِيحُ مَلْحَمَةُ الضِّيَاعِ تَصْلَبًا
لِيُفِيضَ مِنْ رَهَقِ الْجَمَاحِ تَصَلَّبُ
عَسَرَ الْمَخَاضُ وَمَا اجْتَرَحْنَا تَخَصَّبًا
وَيَذِي الْخَوَاءُ مُحَالٌ فِينَا تَخَصَّبُ
رَعَشَتْ قَبُورُ الْغَابِرِينَ تَعْجَبًا
لِبُرُودِ جَمْرَةِ نُخْبَةٍ لَا تَعْجَبُ
عَمَلْتُ بِجَذْوَتِهَا الْفُتُونُ تَنْضَبًا
وَهَوْتُ يَمِزُّهَا الْعَنَارُ وَتَنْضَبُ
رَكَنْتُ إِلَى زَمْرِ الْهَجُودِ تَرْقُبًا
سَبُلُ الْمَنَائِفِ، وَالْمَنَى تَتَرْقُبُ



رحلة الوجود

• علي معروف

والأصيل العتيق يرفض فوزاً
نسبوه إليه دون طراد
وتفائل وكن رصيناً وحاذر
حذر المرء عصمةً وتفاد
وعزوفاً إن العزوف عن النزر
ريسوق الكثير دون عناد
وازجر النفس لا تسابير هواها
إن عصيانها كبير الجهاد
هي دنياك حاجةً وامتاع
فاقتنص ما يحل للصياد
كيف تجفو الحياة وهي معاش
ثم تحنو على رفات العباد؟
وهو من ذلك التراب بقايا
تتناهى إليه بعد المعاد
إنها حكمة الوجود رموز
تتجلى للعقل بالأضداد
ما خلقتنا إلا لنحيا تبعاً
صيحة الموت صرخة الميلاد
لا تجادل فلا القبور قصور
لا، ولا الموت رغبة الزهاد
إنما الموت عبرة لذوي اللب
ونهي عن الغوى والفساد
وسبيل الحياة ليس بعيداً
منتهاه في رحلة الوراد
يخلد الخيرون فيما أتوه
من صلاح ورفعة وجلاد
ويزول الأشرار والكون باق
وصراع الوجود للأنداد

ليس في رؤيتي ولا في اعتقادي
يستوي نائح وآخر شادي
أو فقير أحلامه ظامئات
أو ثري شراؤه في ازدياد
أي صوت من النعي إذا جاء
كصوت البشير حين ينادي؟
هل ترى ظامئ الحشا كروي
أوروبياً كمقصر القلب صادي؟
فتغن كما تحب وتهوى
لا تكن مثقلاً شجي الفؤاد
وترنح كبلبل أسكرته
بهجة الكون في الربي والوهاد
وتهلل لكل عابس وجه
في ثناياه جفوة الأحقاد
وتوخ الرضا سماحاً وحلماً
طيب النفس مستفيض الأيادي
واطلب العيش بالكفاح وجانب
من لياليه تنقضي بالرقاد
فإذا ضل حلمه قال: حظي
وإذا ما أصاب قال: اجتهادي
إنما المستهين في حكمة الكون
سليب الحجى عديم الرشاد
من مشى دربه بجد وصبر
وأناة يقوده للمراد
لا يضير الدؤوب بعض أناة
بل يضير المتوقف المتماذي
والكرى إن هو استبد بأسد
يحفر الصبح وثبة الآساد
خيبة اليوم تنتهي بمجد
لغد واعد وفير الحصاد

سَمَوًا يَا دَمَشِقُ

• وائل عباس عيسى

ويمضي بها معانقةً سحاباً
تُصان من الحضيض إلى ذراها
حوار الفكر يبداً عند قوم
إذا ركبوا إلى العليا شياها
وان عُدت مجالسهم وضائق
بهم أرض تكون لهم سماها
لهم قلم على الجلى وسيف
ونيراس ومجد لا يضاها
سَمَوًا يَا دَمَشِقُ فَكُلُّ يَوْمٍ
يَمُرُّ عَلَيْكَ بِكَسْبِكَ انْتِباها
إذا مُدَّتْ إِلَيْكَ يَدٌ بِسُوءٍ
وَأَنْتَ لَدَى الْوَقِيعَةِ مَنْ حَمَاهَا
فَلَا عَجَبٌ .. كَحَاضِنَةٍ ضَعِيفًا
(فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَاهَا)
وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَاضِيَةٌ بِحَزْمٍ
وَعَلِمَ لَا يَشَاكِلُهُ اشْتِباها
فَفَكَّرَ السُّوءُ قَدْ كُشِفَتْ رُؤَاهُ
وَكُفَّ السُّوءُ قَدْ خَارَتْ قَوَاهَا
وَأَهْلُ الْحَيِّ مِنْ شَيْبٍ وَمَرِدٍ
وَشَبَّانَ عَلَى الْبَلْوَى فِدَاهَا

فإن تقطف ثمار الحقل يوماً
فكن حذراً ولا توقظ شجاها
لمجدك يا كبير القوم ظل
يُمد لنا لكي نمشي وجاها
بقامات شمخن بكل خير
تروح عليه رافعة جباها
وأنت طبيبتنا والطب يعني
بأن تشفى الخلية من أذاها
وحق الجسم أن يشفى ويلقي
بأسباب السقام إلى خلاها
وأنت لأمة عربت رجاء
ومبضعك المرجى إلى شفاها
على آمالها أملت فيها
ولما أن وقضت على مداها
أفاضت حيث كان أفاض قوم
وقد ركبت ورائك في سراها
وعلمت الكرامة كل باغ
تعهد أن يتيه على ثراها
لتودع في يديك زمام أمر
لأنك يا ابن بُجْدَتِهَا فَتَاهَا
فدونك في مفاصلها اعوجاج
وحسبك أن عزمك مبتغاها
وللتصحيح نهج أي نهج
يجدد للمسيرة محتواها

سورية أنت للعليا حماها
ودون علاك لم يبلغ مداها
وفوق ترابك التبر المدمى
تداعى لكل غازية لواها
لك السبق المجلي حيث كانت
دمشقك للحضارة مبتداها
إذا عكف الطغاة على خراب
فإن بنيك قد ألفوا علاها
أطلي من وراء الستر شمساً
ولا تبقي لحالكة دجاها
وخطي على جبين الكون سطرًا
يفيض على المدى مجدًا وجاها
ومدي بالحنان إلى بنان
تزيل كف أسياها أساها
وكي يبق الخلود لديك سرًا
أحيلي ليل أزمته ضحاها
فقد سئمت من الويلات دار
وكم دارت بساحتها رحاها
وأصبحت الشهاداة عند قوم
لهم نسب وما قبلوا سواها
شهيدي من شهيد من شهيد
كذاك الجرح مذ سالت دماها
وما ذهب دماؤهم جزاء
فدون الماء كانت من رواها

وقت لصهيل الخيول



• محمد باقري محمد

إذا..

تفاجأت أم أسعد بطرقات حييئة - لكن ملححة وواثقة - على الباب، فنهضت على تناقل بحكم السن، هي لما تعد صغيرة.. ولما فتحت درفته على تردد، ربما لأنها - إذآك - كانت وحيدة، هالها عدد الرجال الذين وقفوا ببابها مُدَجِّجين بزِيهم العسكري، فيما تربعت نجمتان على كنف أحدهم في إشارة إلى رتبته، إنه قائدهم ولا شك، صارمة كانت قسماات وجوههم ومتشابهة، ولكن لماذا تطيرت من اجتماعهم بباب الدار؟! أهو إحساس الأم؟! أم أنه الهاجس المنطقي حين يحاجج، أن ما الذي جاء بهم الآن، إذ ليس ثمة ما يستوجب حضورهم؟! ولما تلجج الضابط في كلامه بعد أن تأكد من هويته، تيقنت أن توجسها كان له ما يبزره، فتهاوت على الأرض في إغماءة قصيرة، فيما كانت عيناها تعكسان رسم ابنها على قلق وحيرة..

• • •

حين تبلَّغت بطاقة الدعوة إلى الخدمة الاحتياطية، غادرت الشام في التوِّ لألتحق بقطعتي، أقول بأني لم أعط الوقت الكافي لأودع أمي؟! لا بأس.. الحياة ذاتها تتطوي على تناقض من نوع ما، هي لا تعطينا كل ما نرومه، ولكن...، كانت كتيبتي قد تمركزت في حلب، حلب التي اشتعلت حواسها بالنار، ثم إن الكرَّ والفرَّ بين أفرادها وبين فضيل من فتح الشام كان على أشده، لكنَّ حسم الموقف كان يستدعي الصبر والمجالدة، في الوقت الذي كانت أزمة البلاد تعبر فيه عامها السادس ولا حل، سنوات ثقيلات مرَّت على البلاد والعباد في اهتئات، على نحو مُؤكِّد كنا نخشى فكرة المنية في تجريدنا المُدرِّك، لكن غير المحسوس، بيد أننا إذ واجهناها تراجع خوفنا القهقري لغير سبب، أما على المستوى الشخصي فلقد ظلت صورة وحيدة - فيما تقدَّم كله - تتأبى على الغياب، كانت تلك صورة أمي المُمتقعة، وهي تتمسك بركبتي لحظة إذ خرجت، ثم إن القتال وجهاً لوجه ما عاد يخيفنا بحكم الاعتياد ربما، هاجس وحيد كنت أراه خطأ أحمر، أن أضطر إلى اعتراض المدنيين، سواء أحدث هذا في تظاهرة، أو أن الطرف الآخر اتخذهم دريئة له، وبالتأكيد فإن فكرة أن تقتنص رصاصة قناص أحدنا كانت تلقي بنا في خانة الرعب بل الخذلان، ذلك أن الموت إذا كان لا بد منه، فليكن وجهاً لوجه، ولكن هل كنت أتكهن بالواقعة من قبل أن تتحقق، ذلك أني إذ شرعت بالهرولة حتى أنقل تعليمات شفهية إلى موقع لنا قريب، مترسماً دربي دريئة بدريئة، باغتتني دفعة لم أفهمها بداية، ولم يعن لي أنني ربما أكون قد أصبت، ثم أن وهجاً حارقاً حاق بصدري، حتى إذا تلمست موضعه تخضبت يدي بالدم، لم يك ثمة وقت للتفكير، ثم أن الوقت للتدبر بدا أكثر استحالة، وفي وهن بدأت أتهاوى، وقبل أن أغمض عيني تراءت لي صورة أشقائي وشقيقاتي، إلا أن الصورتين اللتين أُلحقتا على ذاكرتي - في تلك البرهة - وثوتا في الأعماق كانتا لأمي ولخطيبتي، قاسيون - هو الآخر - تلامح من بعيد، ومن خلفه تواتر الأراميون بدفوفهم ومزاميرهم، ثم تلاهم العموريون والغساسنة والأيوبيون، قبل أن تتلاشى الموجودات من حولي!

• • •

للمرة الألف ربما أحسَّت أم أسعد أهمية أن تشرف على التفاصيل بنفسها، ذلك أن موعد حفل خطوبة ابنها أخذ يقترب، ألف تفصيل وتفصيل أطل برأسه كضرورات لا تحتمل الإرجاء أو التسويف أو المماطلة، ألف هاجس هاجس النفس مُذكراً أو ضاغطاً في الإحاج، ثم أنها - أساساً - كانت تهتم لتلك التفاصيل، إنها تخطط لحفل خطوبة ناجح، حفل تتردد أصداءه في الضيحاء كلها إلى حين، على هذا انقلب البيت إلى قفص نحل يدب بالحركة، هي - كعادتها - كانت تلعب دوراً يتشبه بدور المايسترو،



مثنوا الأخير، كان جسد أسعد مُسجى في لحد، بانتظار أن يُوارى الثرى، فهل كان يستشعر الوحدة مثلاً، والأماذا بدا أقصر من المعتاد، حتى لكأنه تكوّر على ذاته في انزواء، فيما انشغل الجمهور بعملية الدفن؟! لكن العجوز دامعة العينين كانت في وادٍ آخر.. وعلى نحو ما بدت أكثر هرمًا وانحناءً، ذاهلة عن محيطها أخذت تسترجع غير ذكري، هو ذا طفل كفلقة القمر - أو أبهى - يترسم دربه نحو المدرسة، هي كانت قد حملت به لأشهر سبعة، فهل كان أسعد يتعجل القدوم؟! لقد بذلت في تربيته دماً ودموعاً، وسهرت الليالي الطويلات بإزاء سرير، لذلك راحت تراقب خطواته الأولى في الحياة على تتبع وانتظار، غداً يكبر ابنها - إذا - ويتخرج، ثم إنها ستخطب له عروساً تليق به، وستفرح به كثيراً، هم كانوا قد طلبوا إليها أن تزغرد للشهيد فوافقت، من كل بد هي كانت تريد أن تقوم بهذا الدور، غير أن التنفيذ خذلها، نحن ننجب الأولاد لكي يعيشوا، لا لكي تأخذهم ساحات الحروب يا ناس! تفكرت، أو أن العبارة خرجت من بين أسنانها همساً كحشرجة غميسة بالأسى.. فقط حين أودع جسده القبر عادت العجوز من الرجعى، وأحسَّت أن شلوا عزيزاً من جسدها يُبت، هي لا تعرف كيف وقعت عيناها على خطيبته، يا الله.. كيف غابت تلك المخلوقة الرقيقة عن مخيلتها هذا الوقت كله؟! كانت الشابة ترتجف كمن به برد على الرغم من الطقس القاطن، وعلى نحو لا شعوري اقتربت العجوز والشابة من بعضهما على تعثر، ربما لأن الأرض كانت مُخددة، فتعانقتا بقوة، ثم انخرطتا في نشيج حار، وعلى البعد كان ثمة مهر يركض في كل اتجاه بعد أن تاه عن الطريق!

فيما اندفع الآخرون لتنفيذ تعليماتها بدقة وانضباط، بل إنها عاشت التحول خلل الحفل، فأضحت كمنحلة طنانة لا تتوقف، هكذا - إذا - مرَّت على التجمعات الصغيرة لتتأكد من حسن الاستقبال والضيافة، كانت عيناها تمران بالأشياء كلها في تحرر وتمحيص وتدبر، هي لا تريد لأي ملحوظة أن تفلت من عنايتها، وحين تصرمت المناسبة كما خططت لها، شعرت على نحو أكيد بأن الفضل في إنجاح الحفل إنما يرجع إليها، فأغمضت عينيها على شعور كبير من الراحة والثقة بالنفس!

• • •

حين تقدَّم أسعد لخطبتها أحسَّت بأن الأمانى دانيات للقطوف، وأنها ستضمّد مشاعر الحب في حضنه الدافئ، صحيح أنه لم يك يمطي حصاناً أبيض، كما زينت لها قراءاتها، إلا أن حنانه الذي بدا بلا حدود كان بمثابة تعويض لها، وأن جلست بجواره في حفل الخطوبة أحسَّت بأن العالم كله رهن بيمينها، سريعة مرَّت أيام الخطوبة وهانئة، أما هي فشبيهه عصفور - اكتشف قدرته على الطيران - كانت في تلك الأثناء، وكان أن أسلمت أحاسيسها لغبطة سارحة، وراحت ترسم غير مسار لحفل الزفاف أو لحياتها معه، هي كانت قد أسلمته الروح، غب أن استوطن الشغاف والأوردة، لكن ما لا يتوقع كان على الأبواب، إذ ها هما يُباغتان باستدعاء لروح الروح إلى الخدمة الاحتياطية على عجل، هل انسحبت الأرض القهقري من تحتها، فبقيت مُعلقة في فراغ مترام؟! ألهذا بدت كدجاجة مُروعة تفاجأت بظل طير فوق متناثر فراخها؟! بالضببط هذا ما أحسَّته - بحسبها - حين حيف!

• • •

هناك .. في امتداد وسيع وأجرد، هناك.. على المقبرة اجتمع حشد غفير من الناس، لقد تنادوا لتشييع الشهيد إلى

الحب الذي لا يموت

• جميل عزيز حداد



فمارست الفضيلة في ديار

قرأت على وسائل التواصل الاجتماعي تعليقات فريق من شباب جبل العرب على منشور الدعوة التي أقامها صديق الربيع والخريف الأستاذ محمد حديفي أطال الله في عمره، وقد غمرتني كل التعليقات بوجود نقائها وذكرتي بالأيام الخوالي التي أمضيتها في محافظة السويداء خلال العقد السادس من القرن الماضي وتعلمت من خلالها أصالة الحب الذي لا يموت حتى يموت أصحابه، وقد تركت عندي لواعج الشوق إلى ذلك التاريخ البعيد القريب وحرصتني على تنظيم القصيدة الآتية :

سلام لأحبة والغوالي
يحط رحاله فوق الجبال
ويحمل بين جناحيه الأمان
عرفت ظهارة البيداء فيكم
عرفت بكم أساطير الرجال
مضى الزمن القديم وعاش حبي
يجدد نفسه رغداً ببالي
كان الأمل قد يبدو بعيداً
يذكرني وأذكر فيه آلي
تصاميم الحياة عرفت فيها
أصابع نعمة يوم النزول

رسالة من الشاعر إلى قاتله

• موفق نادر



يا قاتلي
أترأك حين
قتلتني
قد صرت إنسانا
وتقول إن الله
أوكل
أن تسل سلاحك المسموم في
وجهي
لأكون قريبا
وعرفت وحدك أنني
سأظل أربغ أن تحب العيش
مثلي
حالما بالماء .. لا بالدم يغسل
خطو قتلانا
وأظن أكتب هاتفاً :
هل تستحق الأرض إن عجنّت
عظام صغارها
بالدم
والأوجاع
أن تدعى مدى الأيام أوطانا ؟
أتدري يا أبا الأوجاع
أن القتل
والتعذيب
والتكيل
في وطني
، بفضلكم ،
غدت للعيش عنوانا

وأن ملامح الأهلين قد رحلت
وصار الوحش
فنانا
بكينا حتى جف الدمع
فما نحصي ضحايانا
فكل شباب بلدتنا
وآلاف من الأطفال
والأحباب
والخلان
مشوا للموت ركباناً
وأعلام مخضبة
غدت للصحب أكفانا
أخي في القتل
يا من خلته سندی
إذا ما جاءنا صهيون قطعانا
أتدري الآن
صار الذبح شرعتنا
فكبر وانتص سيفاً
وسبح باسم عثمان
وخضب لحيحة حمراء من دمننا
وقل :
ما كان قد كانا
سيرفعلك الإله الوحش مبتسماً
على أشلاء قتلانا
لجنت بها وعدوك
فالأنهار من غسل
ومن خمر

ويجري الماء ألبانا
قصور زانها الأوباش
من شبق
ومن نزوات محرومين ألوانا
تعرّت في جوانبها
نساء تشبه الجانا
مكافأة
عن الأجساد
طايرة
عن الأطفال إذ صاروا
بنهر الدم يستانا
هنيئاً أيها الحمقى
قتلتهم عزة السوري الذي كانا
وبعتم للعدو النذل
كعبتكم وقرأنا
فظلوا مثلما أنتم
مطايا
للغريب الضحل
يركبكم
متى ماشاء
هزوا الذليل
أصبحتم
بنعمة ذلكم في العهر أخوانا

أحلام مسافرة

• محمود حمود

1-
بوفاء.. بضحكة من القلب تبقى
بفجر وبدر وأنفاس سحر
نظل طويلاً نغني
نساغر حلما ولا من وفاء
ولا في الأنام خليل
تطول الليالي تطول
نزولا ولا من بهاء
كان حلمنا مستحيل

2-
أن تكون مخنوقاً بماء وجهك
وبلقمة عيش تزقو عصافير قلبك
لا صوت لك

3-
ويعزم أقوى من أقوى صخرة
كان يشق طريقه
يا أبتني.. يمكن أن تلتفت إلى الجهة الأخرى
فالصخر عنيد
وتشق طريقاً في الصخر
يا ولدي كي تدري
إن تبدأ بالصلب يهن إلاه
فلكل محال مغزاه
والدرب مديد.. والخطوة عبوة
والسهل مناه

4-
أدعوكم للعرس
وأقدم ورداً ننسى
إخواني الشهداء
اليوم أرفأ إليكم
فالدنيا حبسي
أما أنتم : يا الأموات الأحياء فادعوكم يا
إخوة أمسي
من قلب السجن نزفي
لنسق الأول في صفي
بين الشهداء

لا شيء يكبر في الغياب

• رضوان قاسم



الغياب ؟!
أغراك بالقمر البعيد
؟!!
كي تتركي ولداً على شبك
منزله شريد
ما زال منتظراً ومنتظراً هناك
على طريق الحقل
يرسم في الهواء فراشتين
تطير واحدة وأخرى تعود
لدقتر الألوان تختصر الجواب
بيبي وبينك كأس ماء
نصف ممتلئ يراقب صمتنا
وأنا أفكر كيف أملاه بغيمة
الذكريات
وأوقف الكلمات أقطفها
كفأهة اللقاء
فربما ننسى المسافة بيننا
ونعود نبدأ من جديد
وربما نرمي الغياب بحاضر
أو نستعيد الدرب في أقدامنا
ولعلنا ننسى وننسى في اعتكاف
الأغنيات
ونستريح على ارتياد القلب في
ليل الشتاء
لوسادة حفظت تفاصيل المنام
...
لعلنا
عيناك في سفر الكلام
غمامتان من الشرود
أرى انحباساً للكواكب فيهما

وأنا أرى ما لا نراه...
فخلف نافذة اللقاء هناك
متسع لنا
وهناك وقت باشتباه
بالحقيقة وانتباه لا اعتراف
داكن
عيناك من خلف النهارهما
اقتراف القلب للوهم الوحيد
بيبي وبينك لم يعد يجدي
انتظارا
فاستدار الوقت منتبهاً إلينا
مدركا أننا سرقنا وقته
يدك الرقيقة أسدلت كلماتها
وردت إليك حقيبة سوداء
تبحث عن فضاء
وعلى المساء أريكة
لا شيء يجلس فوقها
وأمامها ظلال بيتعدان دون
قراءة عما يحبه البعيد
ولا صدق للقلب حين يصرخ
في السراب
لا ظل لي حين اختفيت على
طريق الحقل تتبعني الفراشة
وحدها
لا شيء يكبر في الغياب
لا شيء يكبر في الغياب سوى
الغياب !!



الدرس الأول

• اسكندر نعمة



أه ما أصعب الحياة في المدينة الكبيرة. كانت سناء في المدينة المزدهمة الصاخبة الضاحجة بالناس والسيارات والدخان وركام الحياة، تلوذ دوماً بذكرياتها في القرية الجميلة الهادئة، تستذكر سماءها وهواءها الصافيين، وحقولها المترعة المعطاءة، وتستحضر دوماً في ذاكرتها كثيراً من القصص الجميلة المشوقة التي قرأتها. إلا أن قصة "المعلمة الأولى" التي قرأتها مؤخراً، كانت الأجل والأفضل وما تزال محفورة في ذاكرتها بكل بهائها وتفصيلها.

تتابع سبل الخواطر من دون توقّف.. "شئ ما يُبَيِّزها" عن المعلمة الأولى، فتلك كانت معلمة لكل شئ، بينما هي معلمة متخصصة. سنتين قضتهما في معهد المعلمين تدرس وتتعلم العزف والموسيقى والغناء.

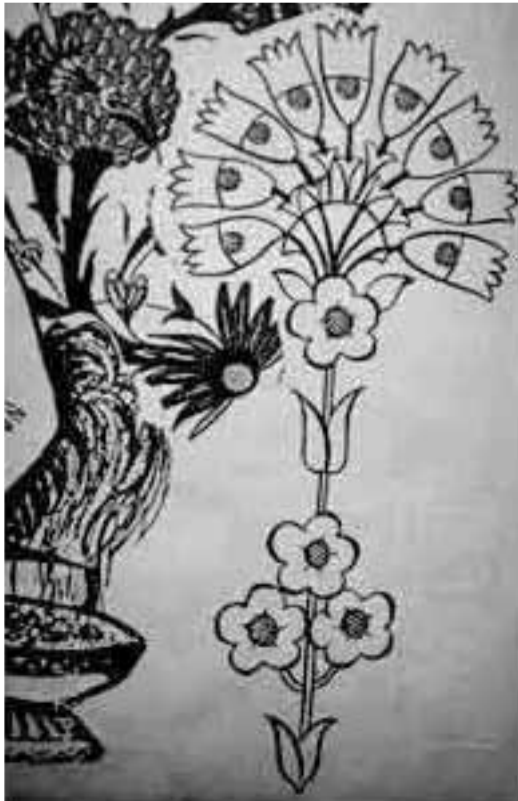
اقتربت سناء من المدرسة. لاح لها البناء الشامخ الأنيق. انتزعها البناء من خواطرها وذكرياتها. أحببت سناء ماضيها. أحببت شعفها وولعها بالموسيقى والغناء. اصطدمت قدمها بعتبة مدخل البناء المدرسي. لم تلاحظ سناء أن حذقيتها توقفت عن الوميض، وجفونها توقفت عن الارتعاش. دخلت أهباء المدرسة بخطوات تاهية مُترددة بين الثبات والاضطراب. عندما استقبلها مدير المدرسة بمودة واحترام، انتزعت سناء أول اعتراف وشعور بنجاح خطوة اليوم الأول. اتجهت إلى غرفة الصف. لافتة معدنية كتب عليها "الصف الخامس". خطت خطواتها الأولى. أخذت مكانها في غرفة الصف. لثوان قليلة جداً كانت متوترة مشدودة الأعصاب، لكنها ما لبثت أن خلعت عنها ثوب الطالبة وتسريبت ثوب المعلمة. رفعت يدها واقتر وجهها وعيناها عن ابتسامة حب ومودة، فأشبعت نهم العيون المتسائلة الجاثمة أمامها.

إنها الآن مُستعدة لأن تقود القطيع الصغير الصامت إلى مراعي الموسيقى والغناء الجميل. اقتربت من زاوية في غرفة الصف. كان البيانو الأنيق مركوناً إليها. سدّدت إلى تلميذاتها نظرات واثقة. أعلنت لحظة البداية. راحت أناملها الرشيقة تتلاعب بالأزرار، وعلى بوح موسيقاه العذبة، راح صوتها يُنشد: أحلامنا كزهور تتفتح في الحنايا. كازهار البرية تتراقص الأحلام، لترسم خارطة الوطن الجميل. وطننا الذي نُحب ونعشق.

براعم الأمل تتفتح، وعلى ضفاف الحياة الوادعة، تُنشد أغنيات المحبة والأمل.....

كلما حلقت الموسيقى، كانت سناء تزداد نشاطاً وتفاناً. أناملها كانت تعرف طريقها، وحجرتها تجود بتراويل المجد والحياة، فتشعر كأنها عصفور يتماهى مع أزاهير الطبيعة وورودها.

عندما أنهت المعلمة الصغيرة عزفها الجميل وغنائها الشجي، تحولت قاعة الصف الخامس إلى روضة من رياض الموسيقى والغناء، وتردد بين جدران الصف تصفيق هادئ ولطيف. ابتسمت المعلمة الصغيرة ابتسامات حنونة وموحية. انتصبت شامخة. انحنت لتلاميذها. قالت بصوت واثق ذي صدى: "هذا هو درسنا الأول. إلى اللقاء".



لم تنم ليلتها.. إنه صباح اليوم الأول من العام الدراسي. تناهى إلى أذنيها أصوات تغريد عصفير كثيرة تستنفضها من نومها. هبّت سناء واثبة من فراشها، وتابعت الأبحان المخملية. سارت بهدوء حتى وصلت إلى شبك غرفتها. امتدت يدها ورفعت الستائر بأناة، كي لا تزعج صمت الطبيعة وشده الطيور. شاهدت مجموعة من العصفير يتوسطها البلب الأزرق، تسرح وتمرح في حديقة البيت بين أطراف الورود البنفسجية والبرتقالية والحمراء. ابتسمت. راحت عيناها تومضان وجفونها ترتعش. إنها اليوم على موعد مع الدرس الأول. ستقف سناء أمام تلميذاتها للمرة الأولى. يوم جديد، كل شئ فيه مختلف. إنه بداية عهد ومستقبل جديدين. تلميذات لا تعرفهن من أمامها، وسبورة خضراء من ورائها.

غطست سناء في أمواج تداعيات متداخلة متتابعة... "كل شئ جديد، بل يجب أن يكون جديداً. وقفتها. ابتسامتها. ملامحها الجادة. أنافتها. خطواتها المتزنة. نظرات عينيها وفطنتها. حركات يديها وأناملها.. سنتين قضتهما في معهد المعلمين، تُعد نفسها لهذا اليوم الحاسم والجميل. تدرّبت كثيراً، وملأت فراغ صفوف من قبل، لكنها كانت تتدرب. كان أستاذها يشد من أزرها ويعينها. أما اليوم، فهو يوم مختلف. ستكون وحيدة مع تلميذاتها. ستضع اللبنة الأولى في بناء مداميك مستقبلها. ستكون المعلمة سناء أو لا تكون. إنها ترغب وتتمنى أن تغدو معلمة ناجحة متميزة. إنه بداية مستقبل مجهول..."

انتزعتها من تداعياتها، وشوشات الطبيعة خارج شبك غرفتها. تنبّهت، وراحت تلامس ذاتها. حانت منها التفاتة إلى المرأة الكبيرة في غرفتها. تأملت نفسها طويلاً. ابتسمت. حدثت نفسها: "لقد كبرت.. لست تلك الطالبة التي تحبوعل مقاعد الدراسة وتلهو مع زميلاتها، وتستدر حب واهتمام مدرسيها. اليوم يوم آخر.."

كانت سناء تجول في دهاليز تلك الأفكار، عندما كانت أمها تحطو نحوها مشرقة الوجه وتسألها باهتمام بالغ: سناء.. هل أنت مُستعدة لهذا اليوم الهام؟؟ نعم يا أمي.. لكنني أحس بعض التوتر والخوف. ابتسمت الأم بعمق وقالت بصوت يملؤه الحنان: "إنه المنعطف الجديد. لا عليك. اذهبي وأعدّي نفسك للذهاب إلى المدرسة.."

لم تستطع سناء أن تبوح لأُمها بكل ما يعتورها من قلق ذاتي ومشاعر روحية. وجدت نفسها من دون أن تدري تغطس في رذاذ من التمرق الدقيق الساخن. لكنها بعد أن ارتدت ملابسها وأتقنت أنافتها، أنابتها المرأة عن فتاة أخرى ليست تلك الفتاة الالهية ولا الطالبة الصغيرة. تأملت نفسها طويلاً في المرأة، وتمتمت بهمسات لم يفهمها أحد سواها.

في طريقها إلى المدرسة، كانت قدمها تقودها ببطء وأتزان، بينما كانت خواطرها تسرح بها إلى متاهات وتداعيات مُشترجة. تلك التداعيات تزداد عمقا كلما غدت المسير نحو المدرسة.. "عندما كانت سناء طفلة، كانت عائلتها تعيش في تلك القرية الوادعة الهادئة الجميلة. اختزنت في ذاكرتها كل أطراف الجمال والحب والوداعة، ولما انتقلت العائلة إلى المدينة الكبرى، كان على الأبوين أن يعملوا بكثير من الجهد والحزم الذي بلغ حد القسوة لتأمين أواصر الحياة والعيش الكريم.

قصص قصيرة جداً

• سها شريف

• المساواة

كان ضد مساواة المرأة مع الرجل، ولكنه أصبح ينادي بالمساواة عندما قرّر أن يتزوج امرأة تنفق عليه.

• لا حاجة لباقه الورد

كانت أمه تحب الورد كثيراً. نسي أن يهديها وردة واحدة. وعند وفاتها بكى ووضع باقاة كاملة من الورد على قبرها.

• النتيجة

بعد إجراء الفحوصات والتحليل لزوجها المنكوب. ظهر لها إصابة زوجها بقصور جيبى حاد. فقررت استئصاله من حياتها.

• المستقبل

صنع لها كرة أحلام ساحرة ولونها بلون البياض الفاتح. أشار إليها بإصبعه إلى بيتها وحياتها ومستقبلها.. ولما سطعت الشمس وازدادت حرارتها ذابت كرة الجليد وتناثرت الأحلام.

• متطلبات الابنة

عادت الأم من عملها ظهراً كالعادة وقالت لابنتها الوحيدة الآن أستطيع أن أشتري لك ما تشائين... سجلي على ورقة كل احتياجاتك. وخرجت الأم لعملها مساء كالعادة، وعادت ليلاً لترى ابنتها نائمة على الكرسي ويدها الورقة. فتحت ورقة طلبات ابنتها. حملت ملياً.. ذرفت دموعاً عندما تبينت لها حقيقة الأمر فقد رسمت الابنة صورة أمها.

• يأس

حين يئس الطبيب من شفائها واستعصى عليه علاجها. استدعى الأهل ولدها الغائب منذ سنين طويلة لوداعها. لما رآها قال للطبيب: دمي كله لها.. كانت تحتضر ومن عينيها انفلتت دموعاً قائلة للجميع: لا.. لا أريد أن ينقلب قلبي حجراً.

• من أجلك

رُفعت ثوبها لتنفق عليه وتلبسه حلة جديدة. ازدادت مهارة في ترقيع ثيابها ليزداد أناقته وبهاء.. دخلت أمه مكتبه. نظر الحاضرون إليها.. عادت إلى الوراء بدمعة حارقة، وأغلقت الباب عندما استعر من رقعة ثوبها وتجاهلها.

• نباح

كان نباحها ينقلب عواء بعد كل جدال ونقاش. وفي آخر مرة انقلب عواؤها أنيباً كي يعود.. لكن الصمم كان قد غطى مساحة كبيرة من قلبه. وليس أذنيه فقط.

قراءة في ديوان الشاعر سليمان سلمان

جراح المسرات

• محمد رجب

يرى بعض النقاد أن قراءة أي نص أدبي إنما هي محاولة لدراسة هذا النص، لأنها تعتمد أولاً على المقروء وعلى حوار القارئ معه، وثانياً لأن لكل مقروء طبيعة بناء وهندسة وله أيضاً أسرار وخباياه، والقارئ الخبير يدرك سلفاً صعوبة تحقيق ذلك، فالنص الأدبي ليس ظاهرة علمية بحتة، إنما هو كائن حي، وهذا يعني أنه دائم التشكل والتحول.

على أنه في قراءة أي نص أدبي وتحديد الشعر منه، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار عدة مستويات أهمها: المستوى الإيقاعي- المستوى الشعوري- المستوى اللغوي- المستوى الدلالي ثم مستوى الشعرية وما ينشده الشاعر من حلم الخلاص.

فأين ديوان الشاعر سليمان سلمان (جراح المسرات) من هذه المستويات، وما هي مقاربتة في تحقيقها وإلى أي مدى؟ وسلفاً أقرر أن ما سأقدمه ما هو إلا عجالة استدعاها زمن القراءة أما إيفاء الديوان حقه فيحتاج إلى دراسة موسعة تستجلي أفقه ومبناه وما يستتبع من مجالاته الدلالية وفضاءات نصوصه، وهو ما يجب أن يكون إنصافاً للشاعر في جهده وللمتلقي في استكناه مكونات النصوص وعواملها.

وإذا كان (المكتوب يقرأ من عنوانه) كما يقال، فقد جاء عنوان الديوان (جراح المسرات) تخليلاً انزياحياً، فالمسرات، وهي حامل الجراح، وردت ضمن سياق معنوي وليس كما تقتضي لفظة الجراح التي من مفهومها الإشارة على كائن مادي، بينما في عناوين القصائد قلما نجد هذه الانزياحية.

أولاً: في المستوى الإيقاعي: أ- الإيقاع الصوتي: يعد هذا النمط الإيقاعي أكثر أنماط الإيقاع بساطة ومباشرة، إذ ينهض على مجموع القيم الصوتية التي تولدها المضردات، وغالباً ما يتحقق ذلك في القصائد التي تصلح للإلقاء إذ يستطيع الشاعر الإفادة من هذه القيم الصوتية من أجل التأثير في جمهور المتلقين، والشاعر سليمان سلمان يمتلك باعاً طويلاً في حرفة الإلقاء. يقول من قصيدته (على الهامش):

لست عامل
أوفداً يقاتل
أيها الهارب من صبح الحياة
أنت في مقبرة الصمت جليد
أنت تطل أذناناً... من حديد

ومن قصيدة (دوار) يقول:
وغاب زمن الرصاص
والضجة النائرة
وحل النباح
على سكة الدال
والضحكة العاهرة
وعاد ابن أوى إلى كرمنا
يلم بقايا العناقيد
يعوى كئواحة فاجرة

ب- إيقاع السرد وإيقاع الحوار: إيقاع السرد ينبع من ذات الفرد الشاعر، وهو يسترسل تبعاً لرغباته الخاصة، بينما يتألف إيقاع الحوار من المشاركة مع الآخر، أي أنه ليس ذاتياً محضاً، وحينما يتناوب السرد والحوار في تشكيل القصيدة على تنوع الإيقاع، فغالباً ما تبدأ القصيدة بدياة سردية فيكون الإيقاع بطيئاً، ويصبح الخطاب أشبه بمونولوج داخلي يستدعي أعمال الذاكرة التأميلية انسجاماً مع الأسلوب الحكائي الذي جاء عليه السرد. يقول:

لذكراك ألتذ بالدمع..
طعم دموعي اشتياق
ولهفة جرحي للمس البرودة
وجه من البرد يشتاك للدفاع
ذكراك حلمي

يجثو أمام الرؤى في المآهات
أنت على مقلتي
ألف بارقة في مهادي ضياعي
أجر زمني

وأبحر خلف التراتيل
يا شفة أستحل بها مرهاً الذكريات
وأمضي إلى شطروح يذوب
ج- إيقاع الأفكار: يتحقق التماسك

النصي في القصيدة عندما يبلغ الامتزاج أعلى مراحلها بين جميع العناصر المكونة للنص، وفي مقدمتها تحقيقه تناسباً حيويًا بين إيقاع الأصوات وإيقاع الأفكار، وغالباً ما يستخدم الشعر الحديث إيقاع الأفكار الذي يقوم على التوازي والترديد ليحقق الانسجام والوحدة، وللتعويض عن فقدان الانتظام في طول الأبيات وأنماط التفضية.

وينبعث إيقاع الأفكار أساساً من طبيعة وفاعلية القيم الرمزية التي تحويها المضردات المكونة لنسيج القصيدة، وهو عادة إيقاع خفي يتشكل في النفس من خلال التأمل والاستغراق في عالم النص وأجوائه الخاصة:

ثانياً: في المستوى الشعوري:

ينفتح هذا المستوى على محورين: أ- محور الشوق والحزن والعزلة والشقاء وما يتصل بهذا المعنى في محور الفرح والحياة وما يوافق ذلك.

ب- في المحور الأولي يتسلق الشاعر سليمان سلمان شجرة أحزانه وجبال اغترابه فلا تكاد تخلو قصيدة في الديوان من دفقة حزن وتلابيب غربة وتميمة شقاء. في قصيدة دوار يقول:

«أدور
وذاتي.. دوار وذكري
وأرفع صوتي
لأسمع من في صمم المدار ندائي
يعود الصدى
يملاً الأذان وقرا
أمج.. أضيع على كفن من هواء»
وفي الأغنية الجارحة ص 105، فيقول:

جارحة أغنية الدمع
تحز القلب..
وماء الملح



يسقي الجرح

يا سفر اللحن المذبوح
أغابنا في السوق تباع
«وتجار الحميلة» يقتنعون علينا
يا سفر الملح

على وتر الجرح
متى يتغير وجه التيار
وتطلع شمس دافئة.
ويعود الملح إلى الأرض؟

في المحور الثاني (الفرح والحياة)، جاءت قصيدة الشاعر (يلد الغيم البرق) نموذجاً لصحته النفسية في إقباله على الحياة رافعاً بيرق الغيور، وهو الفلسطيني الذي يحلم وسيظل يحلم بالعودة إلى أرض الجدود، يقول:

«ماذا يا امرأة العمر تريدين؟
ماذا يا أخت الصبر تريدين؟
ينبت الورد على كل الأنهار

أطلت كل الأنجم
أزهرت الأشجار
فماذا تنتظرين؟
أعيدي كلمات النصر
لفم الدهر
هذي الأيدي

تندلق.. تصير جذوراً
والخيل الجامحة المطعونة
تركض شرقاً
والزمن الداخل خلف حوافرها
يرد البحر

يخلق ذكرى..
وغدا يلدا الغيم البرق
فيطلع وجه الفجر
وتنزع الأستار..
ثالثاً: في المستوى اللغوي، النحوي

والبلاغي:
جاءت قصيدة الديوان نحوياً بعيدة عن التعقيد، فظلت جعلها تتحرك ضمن خصائص الجملة العربية المألوفة، جارية مجراها، بسيطة لا موارد ولا التواء فيها، إلا من بعض الانزياحات والتناص حيث اقتضى الموقف الشعري ذلك أما بلاغياً فأيضاً تتناغم الصور مع السياق في وظيفة كلية، فإذا كان الوطن رمزاً للأمن والأمان فإنه لدى الشاعر المبعد عن وطنه يتحول إلى شيء من النقيض داخل الصراع نفسي أمام أرض

مصلوبة مسلوبة لا يملك تجاهها سوى الأمانى والرغبات.

في قصيدته: حلم الخبيبة: ص 11
يقول الشاعر:
«الرغبات عمود رخام
تلمع في جبهته وردة
ويدي الحجرية
تتسلق هذا الطرد والمنصب
بأعلى الوطن المصلوب
يا ويلي من وطن أحرق للرغبة فيه

رغباتي
فأعود حزينا
كالفحمة أسود ويسود،

وإذا كان الحب بألوان مختلفة يتناغم والحياة ابتهاجاً ولذاذة، فإنه لدى الشاعر سليمان يصعد انزياحاً إلى قضية جهادية تنتظم رفاق الدرب نحو بلوغ غاية وازهار أمل
«أحب جميع الصغار
لأجل عيونهم الغارقات بدمع الأمانى
الرضية

حملت على شفتي نار قلبي
حملت لهم أمنياتي الغنية.
بنيت لهم في ظلال دمي جنة مخملية
لأجعل شعري لصدر الرفاق شعار.

قصيدة: (إلى صغيرة)
رابعا: في المستوى الدلالي، وما أراد الشاعر أن يقوله:

في بنية كل نص أو عمل أدبي زوايا خفية إلا على القراءة النافذة التي تسبر تقاطعات ذلك النص، فتكشف وتثير ما كان مستتراً لتصل الرسالة التي أرادها المبدع من خلال تلمس دلالات النص الكبرى. لقد تأثر الشاعر سليمان سلمان بالواقعية الاشتراكية التي تنطلق من أن الأدب للمجتمع، أي للشعب، للإنسان، وأن دور الكاتب، أديبا أو شاعرا، لا يخرج عن الأداة التي ترجمت الواقع إلى تراجيديا أدبية، كما لا يمكن فهم النص الإبداعي بعيداً عن جذوره الحياتية وعن الصراع الفكري للعصر. وما كان الشاعر سليمان ليحيد عن ذلك، فنراه في مجمل نصائره يأخذ جانب الوطن والإنسان:

«رائحة الخبز على كف العذراء
عطور ريفية
رائحة الخبو على كف الفقراء
نسانم حرية
والقمر الطالع من تنور الجوع
وليل الأتي».

من قصيدة:
(الخبز والهمس والرحيل).
الرحيل إلى النار
خامسا: مستوى الشعرية وحلم الخلاص:

يقول كمال أبو ديب: «الشعرية هي نزوع الإنسان الدائب إلى خلق بعد الممكن، (الحلم الأسمى في عالمه وفي ذاته)، وهي قدرة نادرة على استبطان المجتمع وطبقاته المسلوقة المستغلة، (وملحمة صراعها ضد طبقات لم نزل عبر التاريخ تسع وجودها بالقسر

والقهر والقمع وكل ما في اللغة من قافات وقيافات».

والشاعر ناظم حكمت يقول: «أجمل أيامنا هي التي لم تأت بعد».

خلاص يخرج من قاع الهزيمة النفسية إلى شطآن العودة فلا يرى وطناً خانعاً ولا شعباً جانعاً ولا عالماً مستلباً ولا أفقاً بلا مصير.

يقول:
«خذي يا أمواج الصخب الراحل
إني مرهون بالشيطان
منذ الأزل الهارب من كف الأبد
أعيش..»

أعاق من يأتي في الفجر
وانتظر رجال الطوفان».

(اللؤلؤ والمرجان)
ص - (42 41)
و(في الأحياء بلا ماء) يقول:
«غريب ذاك النبع المتفجر من نبض
القلب

جنوناً، وحناناً، وتراتيل
أخاف على النبض إذا اشتد
يمزق وجهي المحروق..
وأنظر حولي..

فأخاف دمي الصمت..
تدور بأفواه ظامئة
تمتص من القلب دماً
وأياي الشحاذين..
على الأرصفة الحقاء
تستعطي الخبز المر
وتحلم بالماء»

ختاماً:
في إهداء الديوان إيماة واضحة لما يعتمل في ذات الشاعر من آلام وآمال تحت خيمة عالم متهدم ممسوس بكل شياطين القهر وأبالسة العهر وسماسة الدماء، لكنه بكل ما في ذلك من إحباط فما زال يفتح في ليل جراحه نافذة الصباح والمسرات يقول في الإهداء:

إلى زوايا بيتي الأول:
إلى الأرصفة والطرق..
والناس القراء
إلى فعل أيديهم وعقولهم وقلوبهم
مع الأمل الأتي رغم المآسي
أقدم جراح المسرات

في جرح المسرات ذوب شاعر، حنين مهاجر، ثورة وجدان، إنه ديوان يقرأ.

المصادر:
1- ديوان الشاعر (جراح المسرات).
2- قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر.. خليل موسى.
3- مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، د. فاتح علاق.
4- الانزياح في التراث النقدي والبلاغي د. أحمد موسى ويس
5- أوهاج الحداثة. د. نعيم البايغ.
6- القصيدة العربية الحديثة د. محمد صابر عبيد.

السباح

• فاتسلاف ميخالسكي

• ترجمة أحمد ناصر

القدير بارتباك، وحين حدقت وعرفت فيه "المدفأة" جمعت الشراع وصرخت محبباً إياه:

— أيها المدفأة لا تخف، لن أمسكك!

ألقى نظرة خاطفة نحوي، ثم أشاح بوجهه عني، وتابع استلقاءه فوق الماء، وكأنه فوق روضة غناء، دون أن يصرف أي جهد فاتحاً يديه ورجليه إلى أوسع مدى.

كان "المدفأة" قد تقدّم في السن، كان الشيب يبرق كالمعدن في شعره الأسود المقصوص قصّة قصيرة، وعلى جبينه الواسع شقّت التجاعيد دروبها، وغدت معالم وجهه قاسية كمحارب روماني.

— لا تخف، لن أمسكك! كررت كلامي حين اقترب الزورق منه، حتى كاد يلتصق به.

— وعلام أخاف منك؟ إن شئت قلبت زورقك! - أجابني بصوت هادئ، دون أن يرفع نبرة صوته، وهو يتطلع بجسارة إلى وجهي بعينيه الزرقاوين الصافيتين.

صُعقتُ. خوف متوحش سمّر حركاتي. فهمت وأدركت بكامل وجودي، أن أمامي رجلاً غير مشوه، قد تعافى بلمحة بصر، رجلاً طبيعياً تماماً، وهذا يعني أن بإمكانه فعلاً أن يقلب زورقي ببسر، ويغرقني.

— • memento mori وغمزني "المدفأة" كاشفاً من خلال ابتسامته عن أسنان بيضاء؛ تامة التنسيق.

— لمن؟ لحظات في البحر... لم أدر كم مرّ من الوقت، خيل إليّ أنه الأبد. أخيراً رفعت الشراع كيضما اتفق بيدين متخشبتين. وكان ريحا لا أرضية قد ملأته، فانطلق القارب، ورحت أنظر وكأنني في المنام، إلى الجسد المنبسّط الذي كان يبتعد عني ببطء، والذي كان يبدو في الماء غولاً.

لم يفارقني الذعر حتى وصلت إلى الشاطئ. ونتيجة لهذا الذعر سلكت طريقاً طويلة بحيث لم أرسُ على الشاطئ إلا قبيل العشاء. ربطت القارب وعلى الفور طردت من نادي "البحارة الفتيان" بسبب عدم الانضباط.

فكرت وأنا عائد إلى البيت مرتعداً من الجوع، حسنٌ جداً على أية حال، أن يتعافى "المدفأة"، وكم هو مدهشٌ هذا! أدركت بصورة مبهمّة بعض الشيء؛ أن التحوّل السعيد الذي قد طرأ عليه مرده إلى أنه في البحر لا يجد ما يخاف منه، وأنه علم من خلال خبرته أن النوارس والأسماك لن تخدعه ولن تسخر منه، ولن تخونه، ولن يسببوا له ألماً. وفرحت أيضاً لـ "مريوشكا" وشعرت وأنا مهتاج بالمتعة سلفاً كيف سأزف هذا النبا على جدتي والجيران. لكن ما إن انعطفت نحو شارعنا، حتى رأيت "المدفأة" يجري بشكل أخرق في الشارع، وخلفه اثنان، أعرفهما من الصف الأول، وفي أيديهما عودان يابسان رفيفان.



مخبأ لا يمكننا الوصول إليه، يقع في فجّ صخري عالٍ معلق فوق الماء، يخرج ثيابه ويلبسه. تأخذ العجوز بيده وتعود به إلى البيت. مرّت مرحلة الطفولة القاسية، أنا وأترابي لم تكف فقط عن السخرية من "المدفأة" بل أصبحنا من المدافعين عنه ضد الجيل الصاعد والتالي بعدنا.

في الصف الخامس انضمت جماعتنا الجريئة إلى نادي "البحارة الفتيان" الذي افتتح في المدينة. أمضيت صيفاً واحداً في ذلك النادي، والشيء الوحيد المتبقي في ذاكرتي من هوايتي تلك لقائي مع "المدفأة".

ذات صباح، نهاية شهر آب، خرجت دون علم إدارة النادي إلى عرض البحر بزورق شراعي صغير. كانت الريح خفيفة لكنها أمينة، نفخت في الشراع بصورة مضمونة، وراح زورقي يتقدم نحو الأمام باطراد عبر مياه تميل للأخضر، يلق ببقدمته بسهولة الحواجز البيضاء للأمواج الفائرة والمنطفئة في الحال.

رأيتُه على مسافة تقارب منتي متراً. كان يسبح سباحة الكرول المحضة كالغول بصورة تقليدية؛ وبسرعة غير بشرية. كان يسبح متعقباً الزورق. ومع أن الزورق كان يسير بسرعة ليست قليلة، إلا أن المسافة بيننا باتت تقصر دقيقة بعد أخرى. فكرت أن السباح يتتبع أثري، لكنه لم يلاحظ مجرد ملاحظة وجود الزورق، وتجاوزه بمسافة تقارب الثلاثين متراً على يساره. وقد صرت الآن لأحقه. لاحقته عشر دقائق، خمس عشرة، نصف ساعة، وأنا أتطلع إلى ساعتني المهداة إليّ منذ فترة وجيزة. ارتعدت روحي إثر شعوري بأن أمامي سباحٌ عظيم لا مثيل له في العالم، كانت ذراعاه القويتان تجذّف بسرعة وانتظام وقدرة طاحونة، وجسده ينزل في الطبقة العليا للماء كالسكين تطلق الجليد.

لاحقته ما يقارب الساعة إلى أن استلقى على ظهره ليستريح. اقتربت من السباح

أجل، في ذلك الزمن كان الأضخم جسداً في شارعنا كله، وماريوشكا كانت أشد الأمهات اعتزازاً. ترفع رأسها ذا الشعر الأسود عالياً، وعيناها السوداوان التي وسعها زجاج النظارات، تبرقان مهابة صارمة. وفي ذلك الزمن كان يُعد ابن ماريوشكا مثلاً لأي منّا، لا يمكن الارتقاء إليه؛ نجاحاً وصحة وسعادة، في شارعنا كله. ثم بعدئذ علمنا فجأة أنه قد "طقّ عقله". قالت جدتي يوماً: قد حصل هذا له بسبب "زيادة التعلم" أراد أن يعرف كل شيء، ومن غير الممكن معرفة كل شيء.

تطوّر لديه هوس الشعور بالاضطهاد، وفق ما أفهمه الآن، صار يخاف السيارات والكلاب والخيول والقطط، وبوجه خاص خاف منّا نحن الصبية أكثر من كل شيء. وبعد أن علمنا ذات يوم أنه يخاف منّا، سمّمنا له حياته يوماً بعد يوم.

كان "المدفأة" يسبح في البحر طوال العام. يسبح كما الدلفين، كان من السهل عليه قطع مسافة ثلاثين إلى أربعين كيلو متراً. بتنا نرصده ساعات، مختبئين خلف الصخور، على رأس من اليابسة خالٍ من الناس، وما إن يصل إلى الشاطئ سابحاً حتى كنا نصرخ في وجهه "المدفأة! المدفأة!" ونطارده البانس إلى الوراء، إلى البحر. وأحياناً كنا نضحك منه حتى ساعة متأخرة من المساء، ريثما تظهر ماريوشكا على الشاطئ.

— أه منكم، أيها السفلة، سافلون! سافلون! - كانت تصرخ والدموع في عينيها وتقذفنا بالحصى.

لكنها لم تكن كسابق عهدها - ماريوشكا صاعقة المدرسة كلها، أم الإنسان العظيم، بل شمطاء عجفاء، عجوز تكاد تكون عمياء، أم الأبله، ولم نعد نخاف منها. لم نخفها، لكننا كنا نتراجع أمامها، ومع الأيام صرنا نراقب بفضول، من بعيد، كيف يخرج من زيد البحر رجل ضخم عارٍ، وكيف يمتد الظل الضخم فوق الشاطئ المغمور بضياء القمر. ومن

في العواصم يحيا الناس منعزلين، يدور كل، كما الإلكتروني، في مداره الخاص، ليس بوسعه أن يقهر الزيف ويتفرد في جاره. كأن لا وجود هناك للماتتين أو المشوهين، للحزائي أو الثملين سعادة - الجميع فيها مشغولون بهمومهم الخاصة. أما في المدينة الصغيرة يحيا الناس بمعرفة الواحد للآخر معرفة لصيقة، ولذا فلعل شارع أبلهه أو شخصيته الشهيرة.

وعندنا في "بريمورسكي" أدى هذين الدورين ابن مدرسة الرياضيات القديمة "مريوشكا". لا أذكر تماماً ربما كان يُدعى "أندريه" لكن لقبه في الشارع كان (حديد الزهر، الصب) كان يقرأ حتى وهو مريض، الكثير من الكتب - كانت أمه تحملها بأكياس من المكتبة، وخلال خمس دقائق كان يحل أي مسألة في الجبر شفوياً، عنه كانوا يقولون: "طالح، طالح لكنه يصهر حديد الزهر!" ومن هنا، ربما، جاء لقبه "حديد الزهر".

بيد أن تسميته بـ "المدفأة"؛ تكاد تكون أكثر التصاقاً ولياقةً به؛ قامته تطال المترين، بنية جسدية قوية، يُذكر بالمدفأة الهولندية المستديرة العالية حتى السقف، من تلك التي كانوا ينصبونها في صفوفنا. يروون أنه تخرّج في مدرستنا بميدالية ذهبية، ثم درس مدة طويلة تكاد تكون عشر سنوات، في موسكو.

كنا جيراناً له. كان كل صيف يؤوب إلى بيته، وأنا أتذكر بالصورة الحية، كيف كانت "مريوشكتنا" التي كانت مدرستنا كلها ترتعد أمامها، تتشاور مع جدتي بارتباك حول الزهرة اللائقة التي يجب قطفها، ثم تحمل طاقة الزهر وتمضي مسرعة لاستقبال القطار.

كانت لدينا عنزة شهيرة لا مثيل لها في شارعنا كله تدعى "إيركا"، تعطي أربعة لترات من الحليب يومياً. وكانت مريوشكا، حين يحل ابنها ضيفاً عليها، تشتري علبه سعتها ليترو نصف من الحليب المغلي. في ذلك الزمن، في سنوات ما بعد الحرب، كان هذا يُعد رفاهية عالية.

وها أنا أرى أمام عيني.. بريق الصباح الباكر الوردية على سطح غرفة الإجارة ماريوشكا المطوية باللبن، والعنزة السوداء ذات العينين البيضاءوين الشيطانييتين المربوطة إلى ركيزة من ركائز السياج الخشبي غير المدهون، والجدّة حاملة وعاء الحليب بين يديها، أسمع صوت ماريوشكا المرحة: "قد حلبت؟ يمكنني أن أتّي؟" وعلى الحد بين دارينا كانت تنتصب شجرة كرز بيضاء فتية، وخلفها فتى أعلى منها بكامل رأسه، عارياً حتى خصره. وخشية أن يبرد الحليب تسرع ماريوشكا وتعطيه العلبه عبر السياج. فيمد يده الطويلة المسمرّة من الشمس بين أغصان شجرة الكرز ويشرق بجرعات كبيرة الحليب المشبع برائحة الماعز، وخيوط البخار المتماوجة تهتز قرب وجهه.

توظيف التراث في القصيدة الحديثة ومقاربة الطفولة تجربة ممدوح عدوان نموذجاً

• خليل البيطار



ممدوح عدوان

إنه نرف نبيل
ليس كمثل نرف،
إنه درب شائك
لأولئك الذين
دمجوا الفكرة
بالفعل والرؤية
بالموقف، ودفعوا
حياتهم أو
شقاؤهم ثمناً
لواقفهم.

كتب عدوان
مسرحيات مهمة
وترجم أعمالاً
أدبية ونقدية

عالمية بأسلوب ناصع إلى اللغة العربية، وتحتاج مسرحياته وترجماته إلى وقفة مستقلة، كما قارب أدب الأطفال في القسم الثاني من مجموعته (وهذا أنا أيضاً، وكتب ست قصائد لليافعين والكبار، عناوينها: حين يجيء يأتي البيت، أقمار زياد الصغيرة، صور مبعثرة، فلامبويانت، عاصفة ليلية، عاصفة الربيع الكالج.

يقول في قصيدته (حين يجيء يأتي البيت): حين يجيء / يأتي البيت / يخلو البيت حين يغيب / وهو مرقق فينا كساقية من الأضواء / يشع ببهجة / فنغص من ماض يغادرنا / ونذكر أننا نحتاج ضحكنا / كما نتذكر العطش الدفين / أمام دقق الماء. ص 45 غنائية عذبة شفيفة تضيء علاقة الأبوين بالصغار، وتذكرهم بشقاوة الماضي والحاجة إلى الابتسام لمعالجة غصص الزمن الثقيل.

في أشودته (أقمار زياد الصغيرة). يقول: أنهى قصته جدي / الدفاء جميل، والنوم جميل / لكن لا أحد يفهم قصدي / فالقمر وحيد في البرد / أغمضت العينين لأغفو عن عمد / حملتني أمي / وضعتني في مهد / غطتني وهي تقبلني / تركتني في الغرفة وحدي / كان القمر وحيداً في البرد / ألصق وجهاً بالشباك كمن يستجدي / قلت له: لن تبقى في هذا البرد / هيا ادخل لا أحد يرانا / أنت أخي / ستنام الليلة عندي. ص 69

تصوير بارع للعلاقة الدافئة بين الجد والصغير والذته، وامتدادها إلى علاقة الصغير الإنسانية بالقمر الوحيد في البرد. وفي نص (فلامبويانت) مزج بين القمر المخبأ في الشجر، وبين توجيه تحية إلى كوبا الجميلة، يقول: ما الذي في الشجر؟ / أورد صحت أم شرر؟ / أم طيور مخضبة في الصباح؟ / لتغفو كأغنية في الوتر / ما الذي في الشجر؟ / هل تضيق الفصون بخضرتها / فتوزع بين الوربيقات وجه القمر؟ / أم تضيق بنضرتها / فتسارع تعلن نيرانها في بظر / ربما هي كوبا الجميلة / لا تغمض العين خوف الخطر / تسهر الليل حتى الصباح / فتحمر أجفانها في السهر. ص 82 81

مقاربة لونية رقيقة لصورة القمر المضيء خلف الأغصان وللجزيرة الكوبية المهمة لتحرر الشعوب، والساهرة تحسباً لغدر بلطجية العصر الحديث.

وفي قصيدة (عاصفة الربيع الكالج) استشراق لنزعة التدمير المنهجي الذي بدأت كوارثه منذ ثمانينيات القرن الماضي، يقول: تقذف الريح أكواخنا / وتهدم صمت البيوت الفقيرة / نجو بأوجاعنا نحو أبنية صمدت / نتذكر أننا نسينا، مع الذعر / أشجارنا / فنراقبها من وراء النوافذ / ولريح تبغتها / فتشد جدرانها / ونجرجرها في الطريق / تمرغها ثم تقذفها / تتحطم أغصانها / ويجيء إلينا ارتطام الفصون مخيفاً / ونعلل أنفسنا: / إن للريح ثورتها / سوف تهدأ إن أشبعت توقها للتفرد / إن أخطأنا / ظللنا ندر أنفسنا بالسكوت / والقلوب تدق مخاتلة / هل سننجو إذا ما لزمنا السكوت؟ ص -92 94

أحسن عدوان توظيف التراث والذكريات في نصوصه، واستقرأ القادم، وبلغ وأجاد.

ملاذي / حين أصبحت عطوفاً / .. ولقد أتقنت أسرار الضراق / بين نجمين، مع الفجر، بدا وجهك كهلاً / جاءتك الكهولات وكابدت الأمومات التكويلات وأرهقت السفر؟ / بين صوتين تساندنا وسرنا / وعلى كاهلنا جوع عريق / ومع أجزائنا / والداء فينا مزمن / إنا على مفترق فلنستعدي / هذه الأرض التي كانت لنا / صارت قبوراً ونياشين / وهذا الجرح في الصدر / وهذا الجرح في الظهر / وهذا الحب في القلب / وهذا الحقد في الضوء / أعينيني على الأرزاء / إنني مقبل مثل البكاء. ص -23 24

الالتكاء على التراث الأسطوري والديني والتاريخي والحكاوي حاضر في قصائد عدوان، وهو منحاز إلى المغبونين والمطرودين من ديارهم بسبب اجتهاداتهم وإضاءاتهم، وهو استمرار لهذا التيار الذي لم يتوقف، ولم ينقطع خيط دماء أبطاله: منذ يونس والغفاري وغيلان والحلاج وعماد الدين النسيمي إلى الزهراوي ورفيق رزق سلوم وفرج فودة وحسين مروة ومهدي عامل.

قصيدة (هواجس الحوت الصحراوي) نلمح فيها نوعاً أسطورياً من الحيتان، إنها حيتان الصحراء، ومنه الحوت الذي ابتلع يونس المبشر والرأي المنشغل بهوم الناس، والباحث عن منفذ نجاة لهم من غضب مالكي الصحراء والبحر الجدد، ومقدر ليونس أن يغيب في بطن حوت، وأن يصمد ويقر البطن، ويستعيد فضاء حرته، ويواصل سيرته الأولى خادماً للمغبونين، ويكتشف طريق العدالة الشبيه بطريق الجحيم.

تبدأ القصيدة بسؤال قلق، وهو أقرب إلى سؤال العارف، يقول: يضيق السؤال قليلاً / قليلاً يضيق السؤال / تضيق الضواجع من حدة الأسئلة / ... شقي وعرف كيف يموت / شقي ويجهل أين يموت / وحين أضاع مع السفر البوصلة / سألناه: / أين سدفن يا من تهاجر في بطن حوت؟ ص 27

هجرة غريبة ليونس في بطن حوت صحراوي باحث عن ماء أو غيمة، ومكلف بإيصال أمانة وتبليغ رسالة لا تستطيع الجبال حملها، يقول في مقاطع تبدأ بجمل قلقة وأسئلة جارحة: يلقى الحوت / هذي الأمانة متعبة / أين يلقي بيونس؟ / كيف يبلغها الذي في الكتاب؟ / كيف يأخذ منه الجواب؟ .. / الغيوم التي يخفي الحوت فيها / فتحبس أمطارها / يخفي الموت فيها / ويملا أرجاءها / كلما أمسك الحوت غيماً / يصير سراب. ص 30

رحلة صعبة لكل صاحب رؤية، أشبه بالقبض على الجمر، يواصل الشاعر سرد أهوالها، ويقول: يونس المنقلب في الجمر / لا أهل لا بيت / لا يملك الآن إلا سريراً من الشوك / لم يجن من مجده غير أكليل شوك / ينادي .. ينادي / ويرجو الديار التي جاءها / والديار التي فاتها / أن تنجيباً / أيها الغيم.. / كيف ستمنحني القبر دون تراب؟ ص 31

يضيق السؤال، ويضيق أفق الخيال في العمر، ويصرخ الحوت، فلنوقظوا موتكم، وهو يعرف عورة الطريق والثمن الباهظ لحمل فكرة طيبة، يقول: كنت أعرف يونس هذا الزمان / لحوت المناي سيصلح قوت / فأين ستخفي الحنين إلى نسمة في الوطن؟ / هو الحب كيف جعلت لحب الحمى كل هذا الثمن؟ ص 36

وهناك توظيف بارع للتراث التاريخي المكتوب في قصيدة (رثاء عماد الدين نسيمي) وإعادة اعتبار للتفرد على الجمود، ونسيمي شخصية مستتيرة كضربها مشايخ حلب المتزمتون، وجادلوا الرجل وأفحمهم، لكن القرار لذوي السطوة لا لقوة الحجاة، فحكموا على نسيمي بسلخ جلده حياً، وواصلوا مجادلتهم والشتم به وهو ينزف، كما فعل أسلافهم بغيلان الدمشقي، الذي حكم عليه بتر أطرافه وصلبه بالمقلوب. وقضية عدوان إنصاف لهؤلاء الشجعان من أبي ذر وغيلان وابن المقفع إلى نسيمي والزهراوي وحسين مروة، يقول: قف يا نسيمي.. أين تمضي يا رجل؟ / قف وانتبه لخطاك، خلف خطاك دم / العزم تتلفه الرطوبة وهو مخزون فقل.. / قل أي شيء يا رجل / ما عاد في الأيام متسع لكبح (ال لا) وإيما (ال نعم) / .. قف يا قتيلاً يتفنن السير المنغم في جنازته / يقطر عمره متوكناً ياساً جميلاً / مستندا يده على كتف العدم / لكن الرجل لا يتكلم ولا يستدير، ويسير نازفاً رافعا جلده كعلم، فيقول:

يكفي فهمنا كل شيء من نزيك يا نسيمي / فلتنفض في صمت لتبقى عندنا تلك الشيم / سيظل في الدنيا مكان لانق بالموت / رأي يستحق الموت / درب شائك لتسير فيه مع الرسل / يكفي الهزيمة نبها يحكي / فهمنا يا نسيمي / تابع الصمت الثقيل وتابع النزف النبيل / ولا تقل.

حوارية مؤثرة لشاعر يريد أن يعرف، ويعبر عن تضامنه مع مظلوم ذاهب إلى حتفه، وهو صامت احتجاجاً على الظالمين وعلى الساكيتين على الظلم وعلى الصمت نفسه، والشاعر فهم من دروس التاريخ ومن وقائع الحاضر ضربية الموقف النبيل، ومشهد نسيمي التراجيدي فجر قريحة الشاعر، إذ رأى في شجاعته ومشيته المتحدة راية للمدافعين عن حقهم في التعبير عما يرونه صائباً،

(من يطيق سماع اسمه دون أن يرتجف؟ / من يريد محاكمة للذي صوته في البراري وقض؟ / قال : لا للعسف / ومضى حاملاً جلده مثل شيخ قضى قبله. فاقتضى أثر الدم حتى نرف / يا نسيمي انتبه لخطاك لما يستحق الردى ولوعده الشرف.)

ما الشعر إن لم يخلخل الخواء والاستخاء والرتابة في النفوس؟ وما القصيدة إن لم تغادر ما تروم وفات وأوانه وتبتدع جديداً يرغ وينهض ويضيء، ويشف جمالاً غير ملحوظ؟ والشعر الحديث منذ نصف قرن ناس بين البكائية والنجوى، وبين العبثية والخطابية، وبين الغنائية والتصوف، وبين التقديرية الساذجة والغموض المستغلق على الفهم.

وجيل السياب وأمل دنقل ومحمود درويش وسميح القاسم ومحمد الفيتوري ومحمد الماغوط وتوفيق زياد وممدوح عدوان وشوقي بزيغ وصلاح عبد الصبور، ومن جاليلهم ونهل من مصادر التراث المشرقي والعالمي، ومن نتاجات الأدب الحديث في الغرب، تمكنوا من أدواتهم الشعرية، وصلقوا ذاتقتهم، وأحسنوا توظيف الرموز التراثية في قصائدهم، واحتجوا على الظلم والتعسف، وكشفوا مصادر جديدة للجمال، وجربوا وابتكروا، وأفادتهم المناقضة والترجمة، والهزات الاجتماعية والهبات الشعبية التي توالفت على منطقة حبلى بهذا النوع من الأعاصير.

سأوقف عند ممدوح عدوان الشاعر السوري (-1941 2004)، الذي رحل قبل أن يشهد السنوات السبع العجاف التي مرت على البلاد، ولكنه كان صاحب رؤيا، كأنما توقع النكبات قبل وقوعها بأعوام، وغايتي أن ألقى ضوءاً على طريقته في استحضار التراث، وتوظيفه في القصيدة لخدمة فكرة جديدة، ولإعادة الاعتبار للتمرد على الظلم، ولإنصاف أولئك الذين اختاروا أن يسلخوا عنهم عبوديتهم، وهم يدركون أن ثمن ذلك قد يصل إلى سلخ جلودهم وفقدان حقهم في الحياة، وضوءاً آخر على مقاربة عدوان لأدب الأطفال بنصوص تصلح للكبار والليافعين على طريقة زكريا تامر، وهو أمر فاجاني، وأفرحني أن يخوض ممدوح هذه المغامرة. ممدوح عدوان ابن قرية قبيرون التابعة لقضاء مصياف بمحافظة حماة، تخرج من قسم اللغة الإنكليزية بجامعة دمشق، هزته نكسة حزيران، وكسرت جبل الأربعينيات وما قبله، وأدركته حرفة الكتابة، وأبدع نتاجات توزعت بين الشعر والمسرح والترجمة والمقالة.

من مجموعاته الشعرية: الظل الأخضر، تلويحة الأيدي المتعبة، الدماء تدق النوافذ، أقبل الزمن المستحيل، للخوف كل الزمان، وهذا أنا أيضاً.

ومن مسرحياته: محاكمة الرجل الذي لم يحارب، زيارة الملكة، ليل العبيد، هملت يستيقظ متأخراً، الوحوش لا تغني.

ومن ترجماته: الشاعر في المسرح، الرحيل إلى الشرق، تقرير إلى غريكو في جزأين، التعذيب عبر العصور. وله رواية عنوانها الأبتري.

ما لفتني في مجموعته الشعرية (وهذا أنا أيضاً) الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب عام 1984، التوليفة البارعة من القصائد التي جمعها فيها، وهي قسمان: الأول ضم أربع قصائد في محور عنوان المجموعة، والثاني عنوانه محاولات للاقترب من الطفولة، ضم ست قصائد موجهة للصغار والكبار، وظف فيها ذكريات طفولته.

وهذه محاولة لتقديم توليفة تذوقية، أعالج فيها نصوصاً للكبار والصغار، وطريقة الشاعر في توظيف الرموز التراثية والذكريات في القصيدة، وهي لا تكفي للإحاطة بعالم ممدوح الشعري وتجربته، ولا تغني عن دراسة متأنية لنتاجه وصوته المتفرد.

نلمح عودة للتراث: ذكريات أو تاريخاً أو نصوصاً وأساطير، في القصائد الأربع التي ضمها القسم الأول من مجموعته (وهذا أنا أيضاً). وفي نص خامس اخترته لراهبته، رثى فيه عماد الدين نسيمي.

قصيدة (يعسل الثنين فيك)، تذكر للريف وروائح الأبيضة الصافية، يقول: وردة؟ / أم فراشة تلح بدت تتلألأ؟ / أنت؟ / والثنين عسل.. مهلاً.. أشم روائح أذكرها / كان أولها كاحتراق الرفيف / بتنور قريتنا / كان فيها بقايا أريجك في النبض / أنت إذا؟ / سوف أسترتوقي وأضحك / وأراك كأني اكتشفتك في غصن تين / فأسال كيف يعسل فيك الثمر؟ / ثم أسأل كيف تشكلت مثل الغيوم وأنت القمر؟ ص -18 14

قصيدة (علمتني أمي) فيها مناجاة شفيفة للأم السند ورمز المكابدة والكفاح، وذكر لشقوة الضراق والتصدع، يقول: إن هذا الحزن مثل العشق / هذا الندب مثل الشجو / هذي الأغنيات الآن من نبض السكوت / لم يكن صوتي يدنو منك إلا حين أصبحت



الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول:

أ.د. نضال الصالح

رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:

أ.محمد حديفي

مدير التحرير:

د.حسن حميد

هيئة التحرير:

سليمان السلمان، عدنان كنفاني

د. عيسى الشماس، فادية غيبور

نبيل نوفل، د. نزار بني المرجة

الإشراف الفني:

نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:

مها حسن



أ.محمد حديفي

تصحيح المسار وتوجيه الدفة

ووضعت كامل قواها لإسقاط الجيش العربي السوري وجباره على الاستسلام والتفريط بالأرض؛ إلا أن النتائج جاءت عكس ما يرغب ويشتهي الأعداء وفي طبيعتهم العدو الصهيوني إذ ثبت الجيش العربي السوري، وبذل شجاعة وصلت حد الأساطير، وقدم راضياً مهزواً مئات الشهداء، إذعاهد الوطن على مواصلة الكفاح حتى النصر، وما نحن اليوم كعرب سوريين نحصد ثمار هذا الثبات والصمود وهذه البسالة نصراً مؤزراً يقضي بأن يتحرر كل شبر من ترابنا الوطني وتكنس من فوق هذا التراب المقدس كل القتل وكل المجرمين الذين أرسلوا إلينا لاستلاب أرضنا وإرادتنا ..

من يتابع ماحققه هذا الجيش الأبي على الأرض يدرك تماماً أنه تربي التربية الصحيحة وتجدرت صورة الوطن بكثير من الدقة والمهارة لتسري بهاء في عروقه وشرائبه، ولأنه كذلك واصل الثبات وحقق النصر..

ولأن ثبات الجيش العربي السوري ثباتاً اسطورياً في ساحات الشرف انعكس إيجاباً على صلابته وثبات القرار السياسي اقليمياً ودولياً وصارت منجزات الحركة التصحيحية الكثيرة الأخرى والتي تكاد لا تعد ولا تحصى تبدو للمواطن السوري الذي يتمتع بخيراتها أقرب ما تكون للأمر العادي كتوفير الطبابة المجانية والتعليم المجاني والحاجات الأساسية شبه المجانية بطريقة لا يدركها إلا كل من اطلع على حجم ما يتكلفه ويدفعه المواطن في الدول المجاورة للحصول على مثل هذه الخدمات ...

صحيح أن الحرب التي شنت علينا أسهمت إلى حد كبير في تردي معيشة المواطن السوري، إلا أن هذا المواطن الشريف الذي أدرك ومنذ الوهلة الأولى أبعاد المؤامرة القذرة قد صبر وصابر وتحمل شظف العيش وشح الموارد وقسوة الحياة؛ إلا أنه مدرك في قرارة نفسه بأن ذلك كله سيكون آتياً من جهة، ومن جهة ثانية أن صبره ومعاناته كانا في سبيل نصره الوطن وثباته، وكل شيء في سبيل الوطن يهون مدركاً أن الشمس ستشرق من جديد، وأن نبل التضحيات التي قدمها الشهداء ستورق شقائق تلون بالأحمر القاني الجميل سفوح الوطن وسهوبه وأوديته، وليس أدل على ذلك من موقف هذه الجماهير العظيمة بكل سمو واعتزاز تجدد ثبات الوطن وتصدح حناجرها بالهتاف للشهداء وأبطال الجيش العربي السوري.

الحركة التصحيحية زرعت بذوراً كريماً وربت جيشاً عقائدياً بلغت شجاعته حد الأساطير، والوطن يحصد كل ذلك انتصاراً وثباتاً واستمراراً نحو النصر النهائي، نحو النور والمجد اللذين يليقان بسورية والسوريين، وبثبات وصلابة وعزم وإصرار تستمر المسيرة، وينتصر الوطن البهي الذي يرهل آمناً في أيد أمينه.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الرئيس الراحل حافظ الأسد سدة الحكم ظهر إلى العيان عهد جديد عمل على تقوية مؤسسات الدولة، وأدخلت إصلاحات جذرية إلى حزب البعث، وانتهت الصراعات الداخلية وانتهى زمن الانقلابات وإلى غير رجعة. وفي أوائل 1971 انتخب الأمين العام للقيادة القطرية لحزب البعث حافظ الأسد رئيساً للجمهورية بأغلبية ساحقة. وبدأ العمل لإصلاح الأوضاع السياسية في سورية، وإرساء هبة الدولة، وفي عام 1972 تم توحيد الأحزاب السياسية في سورية في الجبهة الوطنية التقدمية كما تم وضع دستور جديد للبلاد وحدث ذلك في آذار عام 1973...

وفي نظرة شاملة موضوعية ومتأنية للحركة التصحيحية تكتشف أنها بداية الانطلاقة لإعلاء شأن سورية إقليمياً ودولياً ووضعها في مكانها اللائق الذي تستحقه كبلد له تاريخ عريق في النضال، وأسهم على مر العصور في صناعة الحضارة التي رفدت العالم بالأجدية وبالكتير من الإرث التاريخي الساطع والمضيء الذي يشكل مخرقة لكل سورية وسوري ..

إن أردنا الوقوف عند المحطات الهامة التي حققتها وأنجزتها هذه الحركة، فأول ما يقفز إلى الذهن هو بناء سد الفرات العظيم الذي يعتبر منجزاً حضارياً واستراتيجياً واقتصادياً هاماً انعكس إيجاباً على كل فرد سوري، أما المنجز الآخر الهام الذي يعتبر مخرقة، أيضاً فهو إعادة الثقة إن لم نقل الكرامة المهذورة للسوريين الذين كادوا يفقدونها في نكسة حزيران 1967 فجاءت حرب تشرين التحريرية التي خاضتها سورية بالتعاون مع شقيقها جمهورية مصر العربية لتسقط جدار الخوف وتمرغ بالوحل كرامة الجيش الذي أطلقوا عليه بأنه لايقهر، وهو جيش الكيان الصهيوني الذي كاد أن يرفع الراية البيضاء لولا التدخل السافر للولايات المتحدة الأمريكية وتراخي الرئيس أنور السادات الذي أثبتت الأيام التي أعقبت الحرب بأنه كان ضالعا في ارتباطات سرية خفية لم تكن في مصلحة القتال ضد العدو الصهيوني ولا في مصلحة سورية والعرب بشكل عام..

ركز المرحوم القائد الخالد حافظ الأسد على مسألة هامة رحنا نلمسها بكل جلاء ووضوح هذه الأيام واكتشفنا جدواها خلال السنوات السبع التي مرت على سورية وهي بناء الجيش السوري العقائدي الذي يؤمن بأنه السياج الحقيقي لحماية هذا الوطن، ويؤمن أيضاً بأن حماية الأرض واجب مقدس والاستشهاد وبذل الدم رخيصاً في الدفاع عن الوطن وترايه هو الهدف الأسمى والأقبل، وقد أثبتت التجارب على الأرض أن هذا الجيش الذي تربي على تقديس التراب الوطني استطاع أن يجابه أكثر من ثمانين دولة تضافرت أسلحتها الفتاكة مع المال الخليجي المشبوه

إن من يقرأ تاريخ سورية الحديث وتحديدأ المرحلة التي أعقبت جلاء المستعمر الفرنسي عن أرض الوطن مروراً بمرحلة الخمسينات التي شهدت قيام الوحدة بين سورية ومصر، ووصولاً إلى مرحلة الستينات التي شهدت حصول جريمة الانفصال ونكسة 1967 ومن ثم الخلافات الحادة وتباعد وجهات النظر بين قادة سورية آنذاك، يدرك ا ل حاجة الملحة لقيام الحركة التصحيحية؛ من أجل قيادة الدفة وتصويب المسار، ويدرك أيضاً أن سورية لبست ثوبها الحقيقي، وارتقت لمصاف الأمم المتحضرة، واستحقت اسمها بجدارة كبلد علماني يقوده العمال والفلاحون؛ الذين تقاضوا في خدمة وطنهم وهم يدافعون عن حقهم الطبيعي في الحرية والكرامة والعيش الرغيد ...

ليس بخاف على أحد أن سورية في مرحلة الخمسينات والستينات شهدت الكثير من الفوضى وغياب القانون بسبب كثرة الانقلابات التي كلفتها كثيراً آنذاك، ويكفي أن نتذكر أن تلك المرحلة وخلال العقود المذكورة من القرن الماضي كانت شاهدة على فشل الوحدة وحدوث الانفصال ومن ثم خسارة الحرب عام 1967 تلك الحرب التي أطلق عليها تسمية نكسة حزيران وشكلت ذلاً وانكساراً في نفس المواطن السوري وبخاصة بعد الاستغلال البشع لهذه النكسة من قبل أمريكا وأعوانها، وعلى رأسهم الكيان الصهيوني الذي راح قادته يروجون لجيشهم المعتدي ويصفونه بالجيش الذي لايقهر؛ بينما يصفون غيره من الجيوش العربية بالجيوش المنهزمة التي لا تستطيع مجابهة الجيش الصهيوني الذي فرض وجوده بعد نكسة حزيران وراح يتبجح بقوته وعظمته ...

إذن المرحلة الأنفة الذكر كانت مرحلة لا تبعث على الراحة والطمأنينة، ولا تدعو إلى الفخر والاعتزاز اللذين يليقان بسورية وتاريخها وتراثها الحضاري العميق الجذور، وكأني بسورية آنذاك تتطلع إلى منقذ ينتشلها من حالة الفوضى والتشرذم فيمسك بالدفة ويوجهها نحو بر الأمان..

من بين الصفوف التي لم تكن متراصة آنذاك طلع الضابط الشاب حافظ الأسد يحمل في أعماقه حباً لوطنه ورغبة عارمةً للنهوض به، وإرادة صلبة لوضع سورية في المكان اللائق بها والذي تستحقه كبلد ضحى رجاله الأبطال بدمائهم في سبيل حريته واستقلاله؛ حين طردوا المستعمرين العثمانيين والفرنسي، وسلموا الجيل وطناً يليق به المجد ويليق به الفخر، وتليق به الكرامة ..

من أجل ذلك قامت الحركة التصحيحية التي أعلن عنها رسمياً في 16 تشرين الثاني عام 1970. حيث اختارت السيد أحمد الخطيب رئيساً للجمهورية، ولما تسلم

أعلام

د. ملكة أبيض



في تربية الطفولة المبكرة (مرجع علمي لاليزابيت هنيستوك) ترجمة عن الإنكليزية، دار الحصاد، دمشق، 1992.

- الطفولة المبكرة والجديد في رياض الأطفال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت 1993.
- التربية المقارنة والدولية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1993.
- مجموعات من القصص والمسرحيات للأطفال، ترجمة عن الفرنسية والانجليزية بالاشتراك مع سليمان العيسى، دار الفكر، دمشق

دمشق 1981.

- تاريخ التربية - دراسة - دمشق 1981.
- التربية في الوطن العربي - دراسة - دمشق 1981.
- الثقافة وقيم الشباب: دراسات ميدانية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1984
- أنماط التعليم العالي في الوطن العربي؛ دراسة ميدانية، المركز العربي لبحوث التعليم العالي، دمشق 1986.
- التربية المقارنة: منطلقات نظرية ودراسات تطبيقية (مرجع علمي لادموندكنغ) ترجمة عن الانجليزية، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1987
- طريقة مونتسوري للأم والمعلمة

لكاتب ياسين ترجمة عن الفرنسية - ط-2، 1979، بيروت.

- نجمة (لكاتب ياسين) ترجمة عن الفرنسية - وجميع هذه الكتب صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات للنشر - عام 1980.
- تسع قصص (د ز ج سالتنجر) ترجمة عن الانكليزية عام 1964، دار الاتحاد في بيروت.
- التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة - صدر عن دار العلم للملايين - بيروت عام 1980.
- التربية المقارنة - دراسة - دمشق 1981.
- تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب - دمشق 1981.
- علم الاجتماع التربوي - دراسة

ولدت في حلب عام 1928. تلقت تعليمها في حلب، وتخرجت من جامعة بروكسل الحرة حاملة الإجازة في العلوم التربوية، ثم نالت الماجستير من الجامعة الأمريكية ببيروت والدكتوراه في تاريخ التربية من جامعة ليون الثانية بفرنسا.

عملت مدرسة جامعية في سورية واليمن.

عضو جمعية البحوث والدراسات.

مؤلفاتها ومترجماتها:

- الشقاء في خطر (ديوان شعر لمالك حداد) ترجمة عن الفرنسية - بيروت - ط-2، 1979.
- الجثة المطوقة والأجداد يزدادون ضراوة (مسرحيتان)